النسمات العنبرية

في الوجهة السجلماسية الحسنية

لأبي محمد عبد الله بن عبد السلام الفاسي الفهري (ت 1348 هـ)

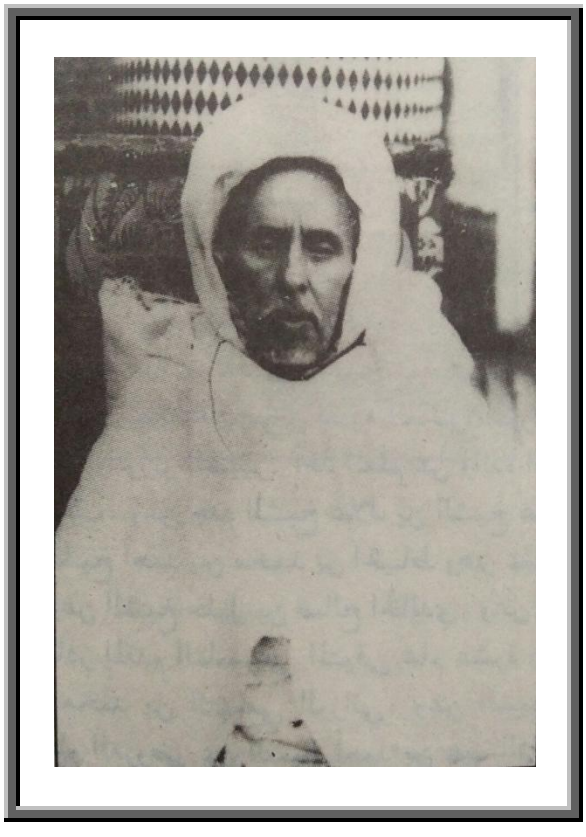

عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري

كانت ولد عام 1208هـ/1793م.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء 27 حجة الحرام متم عام 1348هـ/1929م

ترجمة المؤلف

قال عنه عبد السلام بن عبد القادر بن سودة في سل النصال للنضال ص 57-58 ما نصه:
عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري، سيأتي عمود نسبه إلى الشيخ أبي المحاسن في ترجمة ولده الشيخ العابد الفاسي الفقيه العالم المشارك المدرس الكاتب المقتدر الشاعر المبدع القاضي الأعدل والوزير الشهير.
أخذ العلم عن والده الشيخ عبد السلام المتوفى عام اثني عشر وثلاثمائة وألف وعن جده الشيخ علال بن الشيخ عبد الله الفاسي وهو الذي رباه وأحسن تربيته، وعن الشيخ أحمد بن محمد بن الخياط وهو عمدته، وعن الشيخ محمد - فتحاً - بن قاسم القادري، وعن الشيخ خليل بن صالح الخالدي، وعن الشيخ التهامي بن المدني گنون، وعن الشيخ عبد القادر المقدم التلمساني المتوفى عام عشرة وثلاثمائة وألف، وهو أول شيخ اتخذه، وعن الشيخ محمد بن التهامي الوزاني وعن الشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني. وأخذ علم العروض عن الشيخ أحمد بن عبد الواحد ابن المواز، وأخذ عن الشيخ الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، وتبرك بالشيخ عبد العزيز الدباغ المعروف بهزّ، وأجازه إجازة عامة الشيخ ماء العينين، وكان يحضر دروس الشيخ إبراهيم بن الشيخ محمد الدباغ الحسني التي كان يمليها بزاويتهم التي في أول حومة القلقليين.
تولى عدة وظائف، كان سفيراً إلى باريز أول دولة المولى عبد الحفيظ، وتولى قضاء مقصورة الرصيف في تاسع عشر رجب عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، وأخر عنها في سابع عشر رجب عام ثلاثين وثلاثمائة وألف، ثم ولي وزارة خليفة فاس وبقي فيها إلى أن توفي.
ألف تآليف عديدة، منها: «سلوك الذهب الحاصل الإبريز في بيعة السلطان بن السلطان المولى عبد العزيز»، ألفه عقب تولي السلطان المذكور، وقد اعتمد فيه تآليف ابن الخطيب، وله «النسمات العنبرية في الوجهة السجلماسية»، تكلم فيها على رحلة المولى الحسن إلى الصحراء آخر حياته؛ وله «مسلك الصلاح وملهم الرشاد والفلاح في قضية انتصار أهل السودان بالسلطان المقدس مولانا الحسن»، طبع على الحجر؛ وله «كؤوس الأدب المستطابة في وصف المستحق لخطة الوزارة والحجابة»، إلى غير ذلك من التآليف.
قرأت عليه بعض الدروس بالقرويين، وكانت ولادته عام ثمانية ومائتين وألف، وتوفي في صبيحة يوم الثلاثاء سابع وعشري حجة الحرام متم عام ثمانية وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن داخل روضة الشيخ أبي المحاسن الفاسي الكائنة بالقباب. وقد ألف في ترجمته ولده العابد آتي الترجمة تأليفا سماه «حياة الوزير أبي محمد عبد الله بن عبد السلام الفاسي»، يقع في مجلد. انتهى.

ونسبه حسب ما ورد في موسوعة أعلام المغرب ج9 ص3461 نقلا عن كتاب "سل النصال" عند ترجمة ابنه العابد: عبد الله بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين بن أحمد بن مَحمد فتحاً ابن الشيخ عبد القادر بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري. اهـ

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

النسمات العنبرية في الوجهة السجلماسية الحسنية

لكاتبه سدده الله

نحمدك يا من أمدنا بالبشائر والتهاني، وأتحفنا بالعفو والعافية وقرب لنا القاصي وسهل الداني، ونشكرك يا من جعل لنا بكرمه الخلافة، أمنا من كل هلاك وشدة ومخافة، نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، تفضل على من شاء بنصره وإعانته، وخصه بمواهب اختصاصه وعنايته، فلا حول ولا قوة إلا منه لعبده، إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده.

قضاؤه مقضي وحكمه نافذ وعلمه في السبع الطباق وفي الثرى
إذا قال كن كان الذي هو كائن ولم يك منه القول فيه مكررا

ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله، ذو المقامات الجليلة السنية، والمآثر الحميدة النبوية، من حَفِظه في ظعنه ومقامه، وأوصل له كرائم نصره وتشريعه واحترامه، صاحبُ المدد والفتح الإلهي، والعز الوافر والفضل المتناهي، العارف بربه أشد معرفة، والموصل//2// إليه من أحبه وعرفه، والدال عليه في حركاته وسكناته، واللاهج به في سائر أحواله وتقلباته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين تحلوا بأفضل الحلى، وحازوا المفاخر الدينية والدنيوية فضلا من الله جل وعلا، وأصحابه القادة الذين نصروا دين نبيهم، وواظبوا على ما يوصل إلى إعلاء كلمة ربهم، وبالغوا في قطع دابر أهل الظلم والعناد، والبغي والزيغ والفساد، حتى نالوا بذلك أعلى المناقب والمزايا، وحصل لهم الفخار والسؤدد على كل البرايا، صلاة وسلاما نستمطر بهما سحائب الكرم، ونستفتح بهما موائد البر والنعم، ويكونان خاتمة لَبَّة ([1]) الصدور، ومطلع سماء الشموس والبدور.
أما بعد، فمن المقرر المعلوم لدى الخاصة والعامة أن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى، ومواهبه لدينا لا تحصر ولا تستقصى، نطقت بذلك آيات كتابه، وبينه سبحانه بباهر كلامه وخطابه، وغير خفي أيضا أنه ليس للعبد بشكرِها تَوفِيَه، لتراكمها عليه في سائر نفساته العلية، كما قيل:

إذا كان شكر نعمة الله نعمة عَلَيَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه نعمة تضيق لها الأوهام والبَر والبحر

//3//

1- اللَّبَّةُ: واسطة القلادة، والجمع لَبَّاتٌ، ولِباب. وتطلق أيضا على القلادة نفسها.

وقيل أيضا:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

وقيل أيضا:

لو كل جارحة مني لها لغة تثني عليك بما أوليت من حسن
لكان ما زاد شكرا اشتكرت له إليك أزيد في الإحسان والمنن

هذا وإن من جملة النعم المنخرطة في سلك ذلك، التي هي سبب في إيجاد ما عداها من شريف الأحوال والمسالك، الواجب علينا في كل نفس شكرها، وكثر اللهج بها وذكرها، ما أنعم الله به علينا من سلامة أميرنا المعتز بالله أمره، الكامل بحول الله عزّه ونصره، ووصول بشارته وعافيته، وحصول الحفظ واللطف لميمون جيشه ودائرته، السلطان الذي حاز أشرف المناصب، وأفضل الحظوظ والمراتب، من سما به سرير الخلافة، وسلمت به سبل المسلمين والضعيف من المخافة، سليل سَرَاة ([1]) الملوك الذين أحلتهم العلياء صهوتها ([2])، وتاهت بهم الإمارة وحَلَّت بمآثرهم لَبَّتَها، وحيدُ زمانِه حياءً وعلما وكرما وجودا، ومن لا أخال نظيره في الأوصاف الحميدة بوقته موجودا، من طَاعَ له ابن سينا //4// الرئيس، وخدمه جابر وأرسطاليس، ومُهِّدت له الأرض والبلاد، وانقادت له بمحض الفضل والكرم العباد، ذا الخُلق الشريف والسمت البهي الحسن، أمير المؤمنين سيدي ومولاي الحسن، لا زالت أيامه نَيِّرةَ المطالع، ميمونةَ الساعد والطالع.

أضاءت به الدنيا وأشرق نورها ولاح عليها بشرها وسرورها
وقد طلعت بالسعد منه سعودها كما صلحت بالأمر منه أمورها

حيث كان نصره الله قِدَماً تعلقت همته بالوصول للقبائل الصحراوية، والأماكن الشاسعة البربرية، وهو يقدم في ذلك رِجْلا ويؤخر أخرى، حتى نادته الاستخارة النبوية بالسعادة والبشرى، فتوجه إذ ذاك بجيوش عديدة، وكتائبَ قوية مديدة، وقصدُه بذلك حفظه الله أمران: أحدهما هو عنده الأهم الأكيد، الذي لا يتحول عنه الموفق مثلُه ولا يحيد، إعمال السير بالقدم، لزيارة أسلافه ذوي الفضل والكرم، خصوصا جدَّه الطودَ المنيف، أبا الحسن مولانا عليا الشريف، وثانيهما ما كان صَدَر من قبائل آيت يَفَلْمَانْ، المستوجبين بطغيانهم أليم الخِزي والحرمان، فتعين عليه أيضا المرور على هاتيك القرى والبلدان، لقطع أهل الظلم فيها والبغي والعدوان، حيث لم تكن تنالهم الأحكام، ولا يعرفون الحلال من الحرام، وهم من الكثرة والصولة والمناعة ما لا يُحصى عددا، ولا يُحصر غايةً وأمدا،//5// ومع ذلك أذعنوا كما ستعلم لنهيه وأمره، وأدوا الواجب له واعترفوا بقوته ونصره، بعد أن كان الغالب على ظنهم الفاسد ووهمهم، عدمُ وصول سلطان إلى أماكنهم وبلادهم، بل اسمه هذا كان غريبا، حتى قام هو أعزه الله في ميدانهم خطيبا، ولهذا وشِبهه أحببت أن أجعل فيما ذُكر تصنيفا، مختصرا بهيا منيفا، يكون كالرحلة يتضمن شرح تلك الأسرار الواضحة هنالك، ويجر ذيل فَخَارِه بذلك على الأحرار والممالك، محشوا بفرائد السجع شبه المقامة، مُوشّى بقلائد جمان أهل الفضل والأدب والزعامة، أذكر فيه ما مِنَ الإمدادات له من أول خروجه حَصل، وبه في تلك الرحلة السعيدة والوجهة الميمونة اتصل، وما آل إليه الأمر من كفايته شرور ذوي الزيغِ والعدوان، والفسوقِ والجراءة والعصيان، وإذعانِهم لجلالته قهرا، وإتيانِهم لائذين به سرا وجهرا، ودفعِهم لكريم جنابِه الأموالَ العظيمة،

---

1 - سَرَاة كلِّ شيء: أعلاه، وسطه، معظمه.
2 - الصَّهْوَةُ من كل شيءٍ: أعلاه.

والذخائرَ النفيسة الجسيمة، إلى غير ذلك مما يأتي لنا مُبَوَّبا مُفصَّلا، وفي طي جواهر تلك المعاني مُحصلا، مع ما شوهد له بهاتيك البقاع والديار، من المواهب الغزيرة والمكاسب والأسرار، إلى أن وصل لدار مملكته مراكش الغرَّا، وبنود النصر والرعب متقدمة أمامه تُرى، كرامةً له ومنقبة، وفضلا من الله تعالى وموهبة، وكل ذلك مِني خدمةً لمصون جنابه، واستعطافا لكريم بِره وثوابه، وجمعا لتلك المآثر الحسنية في بهجة ميادين الطُّروس ([1])،//6// مخافة الضياع عليها والدروس، ورتبت ذلك على مقدمة وبابين وخاتمة، مع عدة فصول لما ذكر ملائمة، وسميته بحديقة الأسرار البهية، في الطلعة الصحراوية الحسنية، وإن شئت سميته بالنسمات العنبرية، في الوجهة السجلماسية الحسنية، ثم شأني فيما أذكره شأنُ ذوي الحقارة والقُصور، ومن لم يكن في تلك الميادين العجيبة حاضرا مع سيدنا ومولانا المنصور، سيما مع ما انضاف لذلك من صغر السن وقلة الاطلاع، وفَقْدِ المُساعد من كل وجه وغُربة الاتساع، ولكن مِن ربي أسأل القبول والرضى، والنظر إليه بعين المجاوزة والإغضا، بجاه نبيه وحبيبه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولنشرع في المقصود بحول الله فنقول:

1 - الطِّرْسُ: الصحيفةُ، والجمع طُروس

المقدمة:

في ذكر خروجه أيده الله بالسلامة من حاضرة محروسة فاس، العاطرة الأنحاء والأنفاس، قاصدا ما أراده من وجهته السعيدة، وطلعته الميمونة الحميدة، وما انضاف لذلك من المواهب الغزيرة، والمناقب الجليلة.

اعلم أنه كان خروج سيدنا ومولانا الإمام، وحامي بيضة //7// الدين والإسلام، متوجها بالسلامة لما ذكرناه من حاضرة فاس، العاطرة الأنحاء والأنفاس، دارِ مملكتهم السعيدة، وإمامتِهم المؤيدة الرشيدة، يوم الخميس رابع عشر ذي الحجة، بخلوص طوية وأقوم مَحَجَّة، بعد أن كان أعلمَ أيده الله بالسفر على قاعدته، ومحمودِ سيرته وطريقته، من زيارته أولا لأوليائها الفحول الأجلاء الأعلام، وساداتها الأئمة الجهابذة ذوي الرسوخ والإقدام، مَن هُم عُدَّة المريد والسائل، وفيهم يقول القائل:

لي سادة مِن عِزّهم أقدامُهُم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي بذكرهم عز وجاه

حيث خرج إليها حفظه الله مصحوبا بخَميسِه السعيد، وجيشه الموفق السالم الرشيد، يسأل عن كل ولي وقدرِه، ويطلب من مزيد خيره وبِرِّه، ويستفتح من مولاه فيها الإعانة وتوالى المدد، المغني عن استعمال العُدَّة والعَدد، معتقدا مع ذلك إظهارَ بركتهم عليه، بالنصر والظفر العزيز لديه، معتمدا في زيارته أمنه الله قول من قال، وَجَدَّ في الخطاب والمقال:

زيارة أرباب التقى مَرهَمٌ يُبْري ومفتاحُ أبواب الهداية والخير
وتُحدث في القلب الخالي إرادةً وتشرح صدرا ضاق من سعة الوِزر
عليك بها فالقوم باحوا بسرها وأوصوا بها يا صاح في السر

//8//

فزر وتأدب بعد تصحيح نية تأدُّب مملوكٍ مع الملك الحر
ولا فرق في أحكامها بين سالك مُرَبٍّ ومجذوب وَحَيٍّ وذي قبر
وذي الزهد والعبَّاد فالكل مُنعَم عليه ولكن ليست الشمس كالبدر
ناشدا فيها إلى الله متضرعا متذللا إليه ساكنا خاضعا

لديهم يقول بصدق نية واضطرار، ولَجَإٍ وإنابة واستغفار:

---

1 - على هامش المخطوط ما نصه: وقال آخر:

أنتم مرادي وما في الكون غيركم لولاكم لم تطب نفسي وأنفاسي
لا تهملوني فإني عبد حضرتكم محلكم ساداتي مني على الراس

إن الكرام إذا أمَّلتَ جودهم تَسُحُّ ([1]) سَحًّا عليك منهم نِعمُ
لا تحسبن إذا قصدتَ بابهم أن يغفلوا عنك بل يأتيك فضلهمُ
حاشاهم أن يحرموا من أمَّ بابهم وكيف والجود منهم جاء والكرمُ
فاخضع لهم وتأدب إن قصدتهم يقضى لك القصد والأوطارعندهمُ
هم سادتي راحتي وهم مُنَى أملي بهم ألوذ إذا ما مسني الألم
بجاههم يا إله العرش تتحفني بكل مَكْرُمَة أمَّلْتُ عندهُمُ

وقد كنت أنشأت في زيارته أيده الله لرجال باب الفتوح، خريدةً مُؤذنة بكمال التأييد والنصر والفتوح، مشتملةً على محاسن هذه الزيارة العظمى، وفخامةِ قدرها الجليل الأسمى، لِحسنها وكمالها يجب هنا أن تُذكر، وفي سلك هذا التصنيف تزاد وتنشر، نصها:

زيارة أهل الله لا شك بغيتي أَلازِمُها عَلِّي أنالُ لِرُتْبَةِ

//9//

أحُلُّ قباباً شيدت لمحبهم وأطلبُ أسراراً بصدق المحبة
هم الأولياء الصالحون مُحِبُّهم يُنادِله ([2]) الإقبال في كل ساعة
هم الناس فاز العاكفون لديهم ونالوا مقاماً لا يسام بحِطّة ([3])
ممدهم هو النبي محمد ومِن نوره كل المعارف كانتِي
فإياهم زر والتمس بركاتهم تفز ببحار الجود من كل نعمة
شاهد لديهم نور من هو أصلهم لتدرك ما قد رُمتَ مِن كل حاجة ([4])
زيارتهم تشفي العليلَ بسرعة وتأتي بجمع الفضل من كل وجهة
زيارتهم لا شك حرز ومغنم وحِصن حصين فيه نيل المسرة
زيارتهم تكسو الرجال محاسناً وتفتح فتحاً معْ عظيم مهابة
زيارتهم هي النجاح فأبشرن وفيها صلاح القلب من كل ريبة
زيارتهم تدني المواهب عاجلاً تدمر الأعداء أهل الجهالة
زيارتهم فيها المآثر جُمعت وفيها سرورٌ وابتهاجُ الطوية
فلله إن جئت الضرائح لُذْ بهم عساك أخي تُقْرَى ([5]) بكل فضيلة
فإنهم باليُمن أتحفوا سائلاً وواصلوا مقطوعاً بحسن استقامة
وهذا أمير النصر حط ببابهم ركائبَ نيل الفضل معْ كل قربة
أتى طالباً للعون نحو جنابهم يناديهم للدين قوموا بسرعة

//10//

1- سَحَّ الْمَاءُ يَسُحُّ سَحًّا: اِنْصَبَّ مِنْ أَعْلَى.
2 - كذا في المخطوط.
3 - الحِطَّة: طلب المغفرة. والحِطَّة: نُقصان المنزلة.
4 - كان الشطر الثاني من البيت في نص المخطوط: (عسى تبلغ المأمول من كل حاجة)، ثم عدله المؤلف على الهامش بخط دقيق كتب فوقه حرف خ الذي يُشار به إلى الخطإ.
5 - القِرَى : ما يُقَدَّمَ للضَّيْف.

أتـى بخضوع مع وقار وهيبة كساه بهاء مملوء بسكينة
يؤدي لِكُلِّ واجباً متحتماً عليه ويرجو الله في سَدْلِ نعمة
فنادوه بالتبشير أهلاً ومرحباً فلا تخشى بأساً في جمع الأحبة
وضَمُّوه صدراً وعانقوه كرامة وقالوا تقرب يا وحيد الأجلة
حميناك أجبناك يا ابن محمد تقرب لنا تظفر بكل حميدة
فأهلاً ولازلنا نمدك بالعلا أيا ابن رسول حاز أعلى مكانة
تريد صلاح الدين أنت مؤيد وجمع الأعداء في بحار القطيعة
تريد ظهور السر لازلت في العلا فهذي بنود النصر خذها بجملة
تفاخر بهذا الفضل إنه مفرد وسَلْ تُعْطَ ما قد شئت من كل منية
كفاك لدينا ما نراه من العلا لديك فَتِهْ فخراً بأكرم نسبة
فأنت ملاذ المسلمين جميعهم وأنت لأنت المنتقى في قرابة
أسيدي يا مولاي يا حسنٌ بدا لك الفضل والإقبال عند الأجلة
بَدا لَكَ سِر نلته من قبابهم تفردت بالأمداد مع نيل بغيتي
فَتِهْ وافتخر لازلت عالٍ على الورى سليماً من الأسواء بادي الضراعة
لك الرأي والتدبير والحزم والتقى ورأيك حقاً فيه سبل الإصابة
لك العلم والحلم المؤبَّد حزته وفُقتَ ملوكاً كانوا فوق البسيطة
سياستك العظمى خوارق عادة تعامل بالإحسان أهل المروءة
محبك مسرورٌ عدوك مُقَهَّرٌ كتائبه هُدَّت بأعظم سطوة
//11//

لك الفتح من باب الفتوح أما ترى قباباً عليها النور يعلو بهيبة
لك النصر والتأييد من بحر ودهم لك العز في ضمن المزايا الرفيعة
تقربتَ للمولى بحسن زيارة تخصصت بالأسرار مع كل قربة
فتَبًّا لمن أضحى يعاند سيداً سما قدره عند الفحول الأئمة
تحارب عنه الأولياء بسرهم فيرمون أعداءً بسهم البلية
فمن شاء فليفخر بمفخر ذي العلا سليل الذي قد حل فيحاء طيبة
فهذا هو العز المبين على المدى وهذا هو التأييد بند الكتيبة ([1])
وهذا هو الوصل المؤبد واللقا وهذا هو الإكسير من غير مِرية
وهذا هو الفخر المساق عناية وهذا هو التطهير في علم حكمة
وهذا هو السعد الجليل مكانُه وهذي مزايا لا تنال بحيلة
أسيدي يا مولاي يا حسن النهى بقيت مَد الأزمان عالي المكانة
أيا رب حقق في نداك رجاءَه واكسر به الفُجار أهلَ الغواية
وَهَيِّئ له من أمره رشدا يَرى به الفتحَ والإسعادَ في كل وجهة
أيا رب دارِك باللطائف سيداً وأتمم له ما شاء من كل نعمة
ومَهِّد به الأوطانَ واخذُل بَغيضَه واحسم به الطاغين أهلَ الضلالة
أيا رب فاحفظ للبنين جميعهم وحُطْهُ إلهي من جميع المضرة

1 - كذا تبدو، والله أعلم.

إلهي رجالَ الفتح قَدِّم نحوه إلهي اكفِه ما هَمَّ مِن كل حاجة
فإنه بالإخلاص نادى مُؤمِّلاً عُلاك وراجياً بحسن إنابة
//12//

ومستشفعاً بالمصطفى خيرِ مرسل ومستمطراً رُحماك من فيض مِنّة
يريد صلاح الدين دام علاؤه وعزاً وتوفيقاً وخَتم سعادة
إلهي فأتحِف بالإجابة عاجلاً فجودُك ممنوح لكل البرية
وهذه بنت الفكر خذها عَرُوبةً مُوَشحة تزري بكل خريدة
فقابلها بالإغضاء وأكرم جنابها وحُطها من الحساد أهل الشماتة
ومَهرها عندي أن تنال قبولكم فإني قصير الباع مشغول فكرة
ولو كان لي في النظم باع وغاية لجاريت حساناً في كل قضية
بجاه رسول الله أسأل نصره وفتحاً مبيناً مع كمال وجاهة
يدومان ما قال امرؤ متضرع زيارة أهل الله لا شك بغيتي

ثم لما عزم حفظه الله بعد ذلك على الخروج، وسُلَّمُ السعادة يناديه بالصعود والعروج، خرج باستعجالٍ على العادة أيضاً زائراً لحافظ قطرها، ورئيس حكمها وأمرها، واضح الولاية، والشهير السطوة والرعاية، قطب الأقطاب، وغوث الأكابر والأنجاب، من لا يتصرف ولي إلا بإذنه، لا يخرج أحد منهم عن نافذِ أمرِه ونَهيه، صاحب المقام المعظم النفيس، مولانا إدريس ابن مولانا إدريس.

بباب الرضا إدريسَ قف واطلب النَّدا وبادر لديه بالدعاء وبالنَّدى
وامدد أكفَّ الفقر عند ضريحه تفز ببحار الجود تُشْفِ لك الصَّدا

//13// فظفر أيده الله من بحر مواهبه بكمال المسرة والإجلال، وهبت عليه نسمات السعد والفتح والإقبال، ثم بعد ذلك سار سير اعتزاز وكمال، يكمل مرغوب الزيارة بأماكن الفحول الرجال.
ولما أن تم له ما ذكر على أحسن الحالات، وأكمل الطرائق والمقامات، نهض أيده الله قاصداً السفر بالحفظ والسلامة، في اليوم الذي كان له أمارة وعلامة، فجلس صَباحَه على منصةِ تبريزِهِ، وإيوانِ مملكته وسريره، داخل قبة النصر، ذات العز والفخر، تتوارد عليه لِوَداعِه كبراء المدينة ورؤساؤها، وأعيان الحضرة ونبلاؤها، يلاقي كُلاً بحسب قدره ومقامه، ويذكر الغافل بتلويحات خطابه وكلامه، والبشرَ والسرورَ حفظه الله باذلاً لهم، ونفسه الكريمة بكرائم الدعاء تسخو معهم، ثم خرج نصره الله بعون الملك العلام، راكباً على طِرْفِهِ ([1]) المُلجَم بلجام سبل السلام، وهو يتفقد أحوال الرعية، ويسوسها بالقواعد المؤسسة المرعية، وحوله وزراؤه وحُجَّابه، وخدامه وأصحابه، والرعية خارج المشور تنتظره، وبالدعاء له بالسلامة والعافية تبشره، طالبين من جلالته الدعاء بكامل التوفيق لطاعته، والرغبة في مَصالِحه و(السعي) ([2]) في رعايته، وهو يمدهم بما منه طلبوا، ومن جنابه الكريم أملوا ورغبوا، وما أحد منهم إلا وبأليم فراقه تصدَّع، ودعا إلى الله برعايته وبتأمينه صدَع، فجبر المولى عاجلاً بالبشائر والتهاني صدعَهم، وبَرَّد بلطيف //14// المسرة لوعة فراقه وأمَّنهم، ثم سار أيده الله ومعه من الكتائب العديدة، والفرسان

1 - على الهامش: الطِّرْفُ بالكسر هو الفرس الجيد كما في ق. ومنه قول القائل حسبما يأتي في التذييل:
حمار يُسَيَّب في روضة وطِرْفٌ بلا علف يربط.
2 - ربما كانت "السعي" أو "السهر" أو غير ذلك.

الكثيرة المديدة، والخيول المُرَوْنقة المُسَوَّمة، ما يؤذن بأن الله جل جلاله لذلك قدمه، وأصناف العساكر تتمايل لديه بحللها، وتطربه بلذيذ نغماتها وصوتها، وهو نصره الله يتهادى خلال ذلك، حامداً مولاه على ما خوله من أشرف الحظوظ وأبهى المسالك، يتأمل بباهر نور فراسته آثار المدينة، ويطلب من ربه رعايته وتأمينه، فجد في السير وركب المطايا، وتحدى ببشائر الإقبال والمزايا، قاصداً طريق مدينة صفرو، فما خيم أعزه الله حتى خيم بصحراء قرب هاتيك البلدة، تدعى بعيون أسمار تسع رَحله الشريف ورِفده، ولسان الحال له ينادي، ويطربه بلذيذ التنادي:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب السعد في أفق العلا صعدا

ثم دخل غداً بعد استراحة الجيش للمدينة المذكورة، بعين الرعاية الجميلة المبرورة، مريداً زيارة ما انطوت عليه من فحول الرجال، طالباً من مولاه إصابة التوفيق في كل طريق ومجال، متمسكاً بحبل الله، وقائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله، مسدياً للعطايا الوافرة، والمواهب الفاخرة، لكل من تعرض لبابه، وأتى طالباً نحو جنابه، ثم رجع وآثار النصر تلوح على صفحات وجهه المنير،//15// وأرجاء المدينة تهتز طرباً بحصول المسرة والتبشير، فدخل محله، وأمر باستيطان المحلة، جمعاً للقبائل، ولحوق المتأخر بالسابق شأنَ اللبيب الفاضل، ومن الله جل جلاله أسأل له التوفيق والإعانة، واللطف به وحفظه وإعانته وأمانه، بمَنه وكرمه.

الباب الأول:

في جده حفظه الله السير لما هو قصده، طالباً من مولاه حسن إعانته ومدده، وما وقع وجرى له في ذلك من باهر الفتوحات، والمواهب الجليلة والإلطفات، إلى غير ذلك من المآثر والمزايا، المؤذنة بفضله وتقدمه على كل البرايا.

أقول: بعد أن كمل غرض سيدنا بالمحل المذكور من تعيين مراكز الكتائب والسرايا، قصداً لجلب المصالح عاجلاً والمزايا، جد السير حفظه الله لما هو بصدده، طالباً من مولاه حسن إعانته ومدده، فاستقبل بجنود الله المنصورة، وعساكره المؤيدة الموفورة، وهو بسيف النصر يرهب ويوسي، بدايةَ قبائل البربر من هذه الناحية قبيلة آيت يوسي، //16// فتسابقوا جميعاً للامتثال، وأدوا الواجب مع استعجال، حيث علموا أنه لم تقهم من شدة بأس سيدنا واقية، وأن ظهور المخالفة لديه لا تُبقِي لهم باقية، وكذلك جوارهم بنو مكيلد لما تخللت الجيوش بلادَهم، أذهبت سطوةُ مولانا تعنتهم وعنادهم، فلم تظهر من القبيلتين معاً والحمد لله مخالفة لأمره الشريف، وحكمه المعظم المُنيف، ثم توجه سيدنا دامت سعادته، وتوالت على ممر الدهر كرامته وسلامته، بخميسه العرمرم المنصور، وجيشه المظفر النظامي الموفور، فما زال أعزه الله يطوي المراحل، ويشد الأقتاب ([1]) بالأماكن والمنازل، حتى حل بقبيلة آيت أزدك وآيت يَفْلْمان، الكثيرة العدد والشهامة والعدوان، حيث كانت هي المقصد الأول عنده من تلك القبائل، السالكة سبل الطغيان والرذائل، التي بجملتها هي المقصد الثاني عنده - حسبما أسلفناه في المقدمة - من هذه التعبئة، والغرض الوافر من هذه الوجهة السَّنِيّة، فوافوا مُتَلقين لطلعته الشريفة بطرف بلادهم، مع مكرهم وجورهم وعنادهم، تحققاً منهم بأن سطوته القاهرة، لا تبقِي منهم لو حاربوه باقية ظاهرة، سيما مع ما شاهدوه من كثرة عُدته وعَدده، وقوة بطشه ومزيد مدده، فحصل لهم الدهَش مع كثرة شهامتهم، والرعب مع شدة طغيانهم وصلابتهم، وقاموا بجميع ما أمر به ممتثلين، ولكريم سطوته وجلالته منقادين متذللين، //17// وهو حفظه الله يتعلق بأمنع معاقلهم، وأكرم ديارهم ومنازلهم، يقطع كل فَدفَد منها وسَبسَب ([2])، ويبحث عن كل عرق فيها ونسب، مسموع الكلمة لديهم، منقادين له رغماً على أنوفهم، باذلين له كرائم الأموال العظيمة، والذخائر الجليلة الجسيمة، فأذعنوا له وألقوا السلاح، وسلكوا طريق الرشد والفلاح، وكيف لا ووقعة جوارهم بني مكيلد وآيت سخمان، قريبة عهد لا تبيد مدى الأحقاب والأزمان، إذ خرب أيده الله ديارهم، واستأصل أرواحهم وأعمارهم، وجعلهم لدى الكل عبارة تتلى، ومنقبة تُذكر في الأزمنة وتُجْلى، فكيف لا يخافون مع هذا تلك السطوة، ولا يذكرون تلك الجلالة والنخوة، وهي تذكر بين صبيانهم، ونسائهم وولدانهم، يلهجون بأليم حرها وشديد قرها.

فصل.

وللأدباء في هذه الواقعة قصائد متعددة، وفرائد عزيزة متجددة، كنت ممن سلك فيها مسلكاً لطيفاً، ومنزعاً روياً شريفاً، وما رأيت من شرح القضية فيها بما يشفي ويكفي، كمثل أديب الحضرة العلامة المرحوم السيد العربي المشرفي، في إحدى قصائده، ودرره وخرائده، وله خريدة أخرى فائقة، مختصرة رائقة، تؤذن بنيل الفتح والنصر والأمان، ولكن في خصوص قضية آيت سخمان، نصها:

---

1 - جمع قَتَب: وهو الرَّحْلُ الصغير على قدر سَنام البعير.

2 - الفَدْفَدُ: الأرضُ الواسعة المستويةُ لا شيءَ بها. والسَبْسَبُ: بَلَدٌ أرْضُهُ مُسْتَوِيَةٌ، وَتَعْنِي أيْضاً الأَرْضَ الَّتي لا مَاءَ فِيهَا.

علَت سطوةُ السلطان سطوةَ ظالم وسطوتُه انحطت بفعل المظالم

//18//

ولم تَبق للغشوم صولة باطل يصول بها ويسطو عند التلاطم ([1])
دَهَته دواهي الملك فاعتز بالخلا وفر فرار الرّأل ([2]) من فتك غانم
بِآل علي لُذ وكن متمسكاً ولا تهجرن بيت الندى والمكارم
ملوك لهم من ذِروة الفخر رتبة لعزها يذل كل مقاوم
بهم تسعد الدنيا ويسعد أهلها وينتقم الجبار من كل ظالم
فويل لبربر الجبال ومن بغى على الملك المنصور من آل هاشم
هو السيد الإمام والحسن الذي يؤم الجنود بالقنا والصوارم
هو البطل المقدام يَوْمَ كَريهةٍ فلا ينثني إلا بضرب الجماجم
همام له في الحزم والعزم واللقا عزيمة فتك وافتراس ضراغم
تترسوا بالأوعار ظناً بأنها تقيهم من جز القفا والغلاصم
ففاجأهم فيها نكالُ رجاله وآبوا بأسْرهم وسَوق الغنائم
ولم يحجبهم من وطأة الخيل حاجبة وما هربوا إلا ببعض المحارم
لذا قد شكى أدرانهم وعيوبَهم أخي دَرَنٌ وقال قولة عالم
إمامَ النهى طهرني من رجس خبثهم فإني إليك (...) ([3]) خبث الجرائم
لأنك قد روعتهم وهزمتهم ووجهتهم أيضاً لذل الأعاجم
وترويع ذئب خير من شَيِّ جنبه فلم يَنسَ طول العمر عض القوائم
وأخرجتهم من أرضهم وبلادهم وفروا بلا قوت وعيش البهائم
وماتت بشر الطلق حبلى نساؤهم وسَبْيُ العَذارى من قبيح العظائم

//19//

وإن أنت قد عفوت حلماً ورأفةً فذا للمليك من عظيم الدعائم
هنيئاً لك النصر الذي قد رزقته وشاهدته عيداً وخير المواسم
ودمت في حفظ الله ما عشت سيداً أميراً مطاعاً في جميع العوالم
بجاه رسول الله والملة التي أضاءت لنا الهدى وسبل المعالم
عليه صلاة الله ما قال منشد علت سطوة السلطان سطوة ظالم

اهـ. على ما في غالب أبياتها من عدم الاتزان كما لا يخفى.

ثم لما تحقق سيدنا أيده الله بشدة خوفهم -أي آيت أزدك- لما ذكر وقرر، بحسب الإمكان وسطر، وأذعنوا له وتابوا، وفي خدمته رغبوا ولجنابه أنابوا، وأتوا بنسائهم وذراريهم جميعاً، وما أحد منهم إلا وأتى لأمره

---

1 - كُتِب على الهامش بيت وفوقه كلمة "إصلاح"، وهوهذا البيت:

وبزَّت له والله صولة ظالم عند اللقا والتلاطم

فلعل هذا البيت قديم استبدله بما في متن الكتاب، والله أعلم.

2 - الرَّأل : فَرْخ النعام. جمعه: أَرْؤُل ورِئال ورِئْلان ورِئالة، والمؤنث: رَأْلة.

3 - تقرأ "أشيك" لكنها لا تناسب السياق.

منقاداً سميعاً، أصفَح ([1]) عنهم حفظه الله بشدة حلمه صفحَ الكرامِ، وناداهم: النجاةُ لمن قال ربي الله ثم استقام، ووظف عليهم إذ ذاك وظائف عظيمة، ومغارم لبيت المال أكيدة جسيمة، فقاموا بجميع ما وظف عليهم في الحين، وأتوا بذلك لبابه خاضعين منيبين، وما نفعهم وحق الله إلا الخلاص، وقد علموا أن لات حين مناص، وما فعله سيدنا من الصفح هو شأن ذوي الحلم والرضى، والتجاوز والإغضا، ماذاك إلا رأفة منه حفظه الله بالذرية والبنين، والفقراء منهم والمستضعفين، وتأسياً بما فعله جده صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، حيث قابل قريشاً بعد القدرة عليهم //20// بالعفو والصفح، وكان جوابه لهم عليه السلام حين سألوه العفو عنهم والإشفاق، اذهبوا فأنتم الطلقاء من الأسْر والاسترقاق، وهو لا شك صلى الله عليه وسلم أفضل من ارتدى بالحلم والخلق الكريم، وقد قال الله تعالى منوهاً بقدره (وإنك لعلى خلق عظيم)، فعفا عنهم سيدنا أعزه الله عفو قادر، مسموع الكلمة لدى الوارد والصادر، اقتداء بجده، واتباعاً لنهجه وحَذِّه، ولو قابلهم بالبطش والانتقام، ما كان عليه في ذلك مَلام، فجزى الله سيدنا عن المسلمين خيراً، وأعظم له مثوبة وأجراً، في حقن دماء المسلمين، والنظر لحال المستضعفين.

فتراه يقدر ثم يعفو مِنَّةً وتراه يسطو ولا يزال رحيماً
وتراه يصفح عن جناية من جنى وتراه يغضي ولا يزال حليماً
وتراه (...) ([2]) بالعطايا تكرماً من غير مَنٍّ ولا يزال كريماً

ثم ما رحل عنهم أيده الله حتى أبقى الأحكام جارية عليهم بفضل الله، وجعل لهم القواد والولاة، وأرباب الشأن والتصرفات، فخرج والحمد لله الأمر بسلام، وسعد أهل الانقياد لسيدنا والاستسلام.

هنيئاً فإن السعد راح مخلداً وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً
حباكمَ إلاه الخلق فتحاً بدا لنا مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبداً

لعمري، وغير خفي، إن من يباشر الأمور بربه، ويتوكل عليه في تحصيل النفع وجلبه، يكفيه ما هَمَّ وكاد، من أمر ذوي الطغيان والعناد.
أقول: ولا شك أن هذه //21// عادة الله التي عوّد مولانا في جميع الأحوال، لو تعلقت همته بمناط الثريا لا بد من إدراكه على كل حال، ولا ترى ما شاءه بحول الله وقوته إلا بين يديه، كأنما مطلوبه ألقى بنفسه عليه.

فثق بالذي يعدل بين الورى واصبر فإن الصبر شيء عجيب
يأتيك من مولاك ما ترتجي نصر من الله وفتح قريب

وقال آخر:

علاك طالع صبح الوصل في وهج فقل لبارقة الأيام: إيت، تَجِ

---

1 - كذا في المخطوط. يقال: أصفح الشيءَ إصفاحاً: أي قلبه. فلعل المقصود: قلب وجهَه أو انتقامه عنهم، كناية عن العفو. وربما كانت مصحفة من الناسخ عن فعل "صَفَحّ" بدليل قوله بعدُ: "صَفْحَ الكرامِ"، والله أعلم.
2 - كلمة تعذرت قراءتها.

فالسعد في شرف والذكر في هزج ([1]) وليس بعد قوام الأمر من عِوَج

فصل.

ثم مازال حفظه الله يتخلل معاقلهم تخلل صلاح، ويسوس أمورهم بما يؤول بهم إلى نجاح، إلى أن استقر التخييم به أعزه الله بمحل هنالك يدعى بوادي زيز، ولسان الحال ينادي بالفتح المبين والنصر العزيز، فاستقبله إذ ذاك أيده الله ونصره، وأعلى على علو السِّماكَين ([2]) عزه ومظهره، بمحل منه يدعى بگرس ([3]) العيدُ النبويُّ، والموسم المعظم المصطفوي، فاستوطن هنالك مدة لإقامته على العادة المسطورة، المقررة المشهورة، فتوارد عليه من كل حاضرةٍ الجمُّ الغفير، ولسان السرور يناديهم بكمال التهنئة والتبشير، وكان من جملة من ورد عليه من هذه الحاضرة الإدريسية الفاسية، ذات المحاسن الباهرة الفاشية، المنشدون أهلُ السماع والطرب، قصداً لإقامة الليلة المباركة على أكمل مطلوب وأرب، بعد أن كان وجَّهَ أهلُ الأدب أيضاً على العادة //22// أشعارهم النفيسة، وأمداحهم الجليلة الأكيسة ([4])، من سائر بلادهم المغربية، ذات المآثر واللطائف البهية، مترنمين أولاً في ذلك بذكر محاسن من ثبتت له السيادة بالإطباق، وكان أفضل مخلوق وجد على الإطلاق، بدر التمائم ([5])، وياقوتة الخواتم، سيدنا ومولانا محمد السبب في كل موجود، ومن لولاه ما وجد الوجود.

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

ثم ثانياً بذكر مآثر حفيده مولانا الأمير، ومزاياه المشهورة لدى الكبير والصغير، آتين في ذلك كله بأساليب حسنة، وألفاظ جميلة مستحسنة، فيمدهم هو أعزه الله بالجوائز الجليلة الحسان، والعطايا العظيمة الوصف والاستحسان، كل بحسب ما قدر له وفق السياسة الحميدة، والرعاية المنيفة السديدة، ولقد كنت ممن انخرط قدماً في سلك أدبائه، ومداح جنابه وبابه، فاستعملت في ذلك منزعاً شريفاً، وسلكت فيه مسلكاً لطيفاً، جعلت خريدة جليلة، وقصيدة حفيلة جميلة، اشتملت أولاً على مدح الملاذ الأعظم، والسيد السند الأفخم، قطب الفلاح، وشمس دائرة النجاح، المقرب للحظر الإلهية، والمخاطب بالآيات القرآنية، والمكمل المراتب والأوصاف، والراقي سلمَ التواضع والإنصاف، مَنِ الثناءُ على جنابه غايةُ قصور، وإدمان الصلاة عليه سبب لسكنى الجنان والقصور، لَبنة التمام، ومسكة الختام، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم ومجد وعظم.

---

1 - هزِج الشَّخصُ: تغنَّى، ترنَّم أو طرّب في قراءته أو غنائه.
والبيتان للشيخ العارف سيدي حمّادي بن عبد الواحد الحمّادي المكناسي. انظر الترجمة 521 من سلوة الأنفاس

2 - السِّمَاكان: نجمانِ نيِّرَانِ، أَحدهما في الشمال وهو السِّمَاك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السِّمَاكُ الأَعزلُ.

3 - كرس: هو مكتب قيادة الريش حاليا. انظر كتاب مدغرة وادي زيز ج1 ص125

4 - كذا، ولعلها مشتقة من الفعل كَاسَ، يقال: كاس فلان: أي صار أكثر أدبًا وظُرفًا، فهو من أكيس النَّاس.

5 - التمائم جمع تـميمة، ومادة (تمَّ) في اللغة دليل الكمال؛ تمَّ الشيء يَتِم: تكمَّلت أجزاؤه، وهي: عُوذة تُعلَّق على الإنسان، فكأنَّهم يريدون أنَّ التمائم هي تَمام الدَّواءِ والشِّفاءِ المطلوب. ينظر: "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس (1/ 339، ط. دار الفكر)، و"المصباح المنير" للفيومي (77، مادة: ت م م، ط. المكتبة العلمية)

هنيئاً فإن السعد راح مخلداً وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً
حبانا إله العرش فتحاً بدا لنا مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبداً
أعُبَّاد عيسى إن عيسى وحزبَه وموسى جميعاً يخدمون محمداً

وثانياً على نشر مآثر سليله مُمَهد البلاد والأوطان، سيدنا ومولانا السلطان، وهذا بعد علمي وتحققي بأني والله لست أهلاً لذلك، وبأن مدح سيدنا ومولانا محمد لا يسعه ما قد رَقَمْتُ هنالك، وأن في تعرض أمثالي لذلك من سوء الأدب ما لا يخفى، بل كل مُثْنٍ مقصر ولو بلغ ما بلغ في الجودة والصفا، ويرحم الله المفسر ابن جزي الغرناطي حيث يقول في هذا المعنى، مخاطباً أهل الذوق والنباهة والمعنى ([1]):

أروم امتداح المصطفى فيصدني قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب
ولو أنَّ أعضائي غدت ألسنا تُرى ([2]) لمّا بلغتْ في القول بعض مآربي
ولو أنَّ كل العالمين تواطؤوا على مدحه لم يبلغوا بعض واجب
فأمسكت ([3]) عنه هيبة وتأدباً وخوفاً وإعظاماً لأرفعِ جانب
فرب سكوت كان فيه سلامة ([4]) ورب كلام فيه عتبٌ لعاتب

وقال آخر ولله دره:

مقامك يا إمام المرسلينا تَحَيَّرَ فيه مدحُ المادحينا
فغاية ما نقول إذا اختصرنا بأنك أنت خير العالمين

//24//

وقال ابن الفارض رحمه الله:

أرى كل مدح في النبي مقصرا ولو بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله قد أثنى بما هو أهله عليه فما مقدار ما تمدح الورى

إلى غير ذلك مما هو في المعنى كثير، ولدى أرباب النُّهى والأدب شهير.

أقول: كيف لي وقد تجاسرت ثانيا على مقام نجله وخليفته، والقائم على ساق الجد والاجتهاد في إظهار شريعته وسنته، مولانا الأمير الذي بلغ من مكارم الأخلاق النهاية، ومن سعة الحلم والعلم فوق المؤمل

---

1 - ذكرها المقري في أزهار الرياض ج3 ص 186 مع اختلاف في بعض الألفاظ، وذكرها لسان الدين بن الخطيب في الكتيبة الكامنة ص48
2 - في الكتيبة الكامنة "إذا" عوض "ترى."
3 - في الكتيبة الكامنة "فأسكت."
4 - في الكتيبة الكامنة "بلاغة" عوض "سلامة."

والغاية، ولكن ها أنا ألتمس العذر شأن ذوي التقصير، وأطلب الإغضاء والصفح عن كل ما فيه عيب وتنفير .
وكنت سميت تلك الخريدة المذكورة، الجميلة المبرورة، بتسمية شريفة لطيفة، صالحة لأهل المحبة منيفة، وما هي إلا " بشارة ذوي المزايا بمولد خير البرايا"، صلى الله عليه وسلم، وذكرت فيها مائة واثنين وخمسين بيتا، وبالغت في الثناء على ما يفعله إمامنا المؤيد المنصور، الذي كل فضل على جنابه مقصور، من إقامته لِلَّيلة المولدية السعيدة، الفائقة الحميدة، وإنفاقِه فيها ذخائر الأموال، واستعمالِه الولائم العظيمة من أجلها في كل حال، والفرحُ والسرور لديه في أسبوعها يتزايد، والخيل في ميادينها تتراكم للسباق وتتوارد، وأصحاب لذيذ الآلات، وشريف الأصوات والنغمات، تترنم لديه كل يوم بطبائعها المختلفة، ونغماتها العجيبة المؤتلفة، إلى غير ذلك //25// مما لا يحصر من المواهب، والمآثر والمناقب، فهنيئاً لمن كان حاضرا هنالك معه، مُلْقٍ لتلك الأمداح الجليلة أُذُنَه ومَسمَعَه، وقد أشرت لذلك كله في القصيدة المذكورة، السعيدة الموفورة.

فصل.

لا بأس بترصيع هذا التصنيف الشريف بها، مخافة الضياع والدروس عليها، مع حسنها وجلالتها، وبهاء صنعها وعزتها، ونصها:

تبدت لنا حسناء وما مثلها ظهر ... وزارت فقلبي منها دام على خطرْ
سَرَت وظلام الليل لا زال في انتها ... فضاءت بها الأرجاء من كل ما مقرْ
وعن وجهها الغاني أزالت قناعه ... فأضحى بهياً دونه الشمس والقمرْ
عَرُوبٌ سقت كأس الصبابة مهجتي ... وقد ملكت فكري بشاهدَي الظّفَرْ
يا رَبَّة الحُسن التي سلبت لُبِّي ... وأكره من قد نال مِن ذِكرها ضَجر
لعمري وكم باللحظ أرْدَتْ وأهلكَتْ ... رَمَت بنبال الهُدب سائر من نظر
فوا خجلتي من لَحظ قد فُتِنت به ... عيونُ المها واللبُّ من حسنه انفطر
وواعجبي من نون حجبانها بدت ... مرققة تسطو على من لها بصر
أراها وقد قَدَّت ([1]) بِقَدٍّ مريدَها ... وغصن النقا ألفْتُه في لجة الكَدّر
بأردافها قد أردفت لوعةً سَرَت ... بجسم الذي قد نال من حبها أثر
//26//
مَراشِفُها ([2]) من قَرقَفٍ ([3]) هي ترتوي ... ومَبسَمُها عن لؤلؤ لقد انتثر
وجيدها ([4]) قد أزرى بجيد غزالة ... وكم مِن بهيٍّ النقدِ طُوّق كَم دُرَر
سقى روضَ صدرٍ منها ماءُ صبابةٍ ... (...) ([5]) النهْد أطعَمَ في الأثر
ذوائبُها زارَت لناعِم ساقِها ... مرجَّلةً، كالليل في طالع القمر
ومعصمها إني خديم جنابه ... يحاكي صفا الدر أول ما ظهر

---

1 - قَدَّ الثوْبَ: شقّهُ طولاً.
2 - رشَف الماءَ ونحوَه: مصَّه بشفتيه.
3 - القَرْقَفُ: الماءُ البارِدُ الصافي.
4 - الجِيدُ: العُنُق.
5 - كلام تعذر ضبطه، يقرأ (لذا بسمِي) والله أعلم.

هلموا لها شهر الربيع وصالها ستُعلمكم بالوفد في منتهى صفر
وليلة ثان بعد عَشر زفافها لسيدنا المنصور خاتمة الدرر
دعيني فما شأني التشبب إنما بليت وكم قبلي بلي من البشر
هي الليلة الزهراء فاح وِدادُها تبسم صبح منها عن طالع الظفر
بدا فيها نور الكون مولانا أحمد به سعد الإسلام واعتز وانتصر
نبي صفي طهر الله قلبه وزكاه أصلاً فالوجود به ظهر
بميلاده البطحاء استنارت وشرفت وزادت به فضلاً على فضلها المُقَر
بميلاده بُصرى أضاءت قصورها ولاحت عليها من معالمه غرر
ولما بدا سر الوجود محمد دنت شهب تحميه من كل ما ضرر
أشار بطرفٍ للسماء إشارة تدل على التوحيد تُبهر من حضر
بميلاده نار لفارس أخمدت وإيوان كسرى للسقوط قد انحدر
لميلاده غارت لِساوَةَ أعين وقد كان منها الماء يشخَب ([1]) ذا شرر
بميلاده سُدنا على كل أمة ونِلنا به فضلاً على سائر البشر
//27//

بمبعثه توراة موسى تواترت وبالمبعث الأسمى تعَدَّدَ كَم خبر
إليه اشتياقي قد علمت بأنه رسول الإله سيد علم أبر
فكم آية جاءت لتصديق قوله ومنها نزول الوحي من بارئ القدر
نزول كتاب الله أعظم حجة على من بغى كم من دهاة به قهر
فصاحته ردت فصاحة كل ذي لسان فصيح للعداة به بهر
ومنها انشقاق البدر فيه دلالة لقد أخرست جمع الطغاة ذوي سقر
وآية رد الشمس أعظم آية كذلك معين الماء من كفه انفجر
وفي ليلة الإسراء نال مكانة لقد قصرت عنها مكانات من غبر
رأى ربه جهراً بعين تأدب وشاهد أسرار الجلالة والعبر
وناداه بالتقديم أهلاً ومرحباً فأنت حبيب لا يرد له وطر
لقد ظَلَّلَتْ بالإذن يا ذا سحابةٌ عليه تقيه الحر في كل ما مقر
وصُمُّ الحصى في كفه سبح كما عليه جميع النبت سلم والحجر
وحن له الجذع المتيم واشتكى فراقَ حبيب بالمواعظ قد جهر
وأبدت له الشكوى الغزالةُ إذ أتت وقد ذهبت في الحين تفعل ما أمر
وصدَّقه الضب الفصيح بمحفل فأبهر كل الحاضرين بما ذكر
بغار حراء قد أيد الله نصره وألحق أهلَ الشرك كلهم الدَّمَر
مسير أشهر أيد الله حزبَه برعب على قلب العدا أمد وانتشر
وكم معجزات بينات بدت له تَجُل عن التعداد في ألسن الزَّمَر
//28//

وإن رُمْتَ تضميخاً ([2]) بسرد كثيرها فطالع لما قد جاء في كتب السير

---

1 - شَخَبَ اللَّبَن يشخَب شَخْبًا: خَرَجَ مِنَ الضَّرْعِ مَسْموعاً صَوْتُهُ.
2 - ضَمَّخَ جَسَدَه بِالطِّيب تضميخاِ: طلاه بِهِ، لَطَّخَه بِهِ.

علونا بمولانا النبي محمد على أمم واللهُ للعيب قد ستر
هنيئاً لنا بالمصطفى تم سعدنا ونلنا به جميع المحامد والوطر
نديمي نادمني بمدح محمد ففيه شفاء النفس من كل ما ضرر
مجيب النَّدى غيث النِّدى علَم الهدى مبيد العدا أردى بسيفه من كفر
زكي نقي ماجد خيرة الورى حليم كريم فضله غير مستَتَر
ليوم يشيب الطفل فيه بدا لنا شفيعاً وهولُ النار أدهش من فجر
له كوثر والحوضَ أعطاه ربه سقى منه من كان فاعلَ ما أمر
له منطق أحلى سماعاً ورؤيةً جوامعُه ينبيك عنها أخي الخبر (1)
له راحة هي الحرير ليونة وقد طالما أسدى بها خالص الدرر
فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما أبقي على المال من أثر (2)
فتى كان فيه ما يَسُر صديقَه على أن فيه ما يسوء الذي كفر
سعدنا بمولانا الرسول محمد وحزنا به التفضيل في كل ما مقر
عمادي ملاذي حجتي هو أحمد شفيع إذا ما النار تدهش مِن سَعَر
بطيبة طار الشوق مني صبابة لزورة خير المرسلين من البشر
بلادٌ بها مأوى الحبيب محمد هو المقتَفَى خير (...) (3) من مضر
أيا زائرين المصطفى حزتم المنى وشاهدتم الأسرار طوبى لمن حضر
مُنِعتُ بأوزاري حُرِمت بخستي قعدت بذنب ذاب من أجله الحجر

//29//

صرفت شبابي في الملاعب كلها حتى أبلغ العلياء والدهر قد غدر
رَمَتني دواعي اللهو في قعر ظلمة متى أحمد اللذات والجسم قد نفر
إليك رسول الله شكوى أبثها عسى تغسل الأحشاء من دنس الضرر
وما لي سوى بيت النبوءة محمد أعوذ به حتى أرى حائزَ الظفر
وأصحابه هم خير صحب تنعموا برؤيته أعظم بهم قادة البشر
لقد نصروا دين النبي محمد وقاموا على ساق الخلافة في الأثر
وقاتلوا أهل الكفر طراً بأنفسهم وما ضرهم كثرة العِداة ولا النفر
كُماةٌ بدار الحرب إن عظُم الوغى تخالهم أُسْدا تقاتل من كفر
سيوفهم فُلّت لنيل مزية تُرى لهم في الدين من أعظم العبر
جماجم أهل الشرك طارت بعزمهم وما ردهم عن ذاك سهل ولا وعَر
وما صدهم بذل النفوس لأجله ولا كثرة الأموال والأهل والدرر

---

1 - على الهامش ما نصه: إشارة للحديث الشريف.
2 - على الهامش ما نصه: أصلها في الحماسة، فهو من التضمين كما لا يخفى. انتهى.
ونص البيتين في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص684:

فتى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا
فتى كملت خيراته غير أنه جواد فلا يبقى من المال باقيا

3 - كلمة مطموسة.

فتباً لأهل الشرك يومَ حياتهم لقد جردوا رمحاً وعَضْباً ([1]) لذي سقر
تحققوا أن الله فاعل ما يشا ولكن أقاموا الحد في كل ما بشر
فمدهم بالعز والنصر عاجلاً وألقى عليهم من مواهبه غرر
حكيم فلا عن حكمه عدَلَ امرؤ عطوف على أهل التَّقَى بهم وأبر ([2])
هنيئاً لهم بالهاشمي محمد ومن أجله المولى أنالهم الظفر
وهذا حفيد المصطفى وسليله وسيدنا السلطان محيي الذي دثَّر
أقام على حفظ الشريعة مُؤتَسٍ ([3]) بمن فضلُهم أضحى لدى الكل واشتهر
//30//

وذب عن الإسلام غاية وسعه وقاتل أهل البغي ما نابَهُ ضجر
تخلق بالإجلال من فيض ربه ونال مقاماً لا تحل به غِيَر
حكيم صفوح ذو جلال وهيبة كتائبه مدت بسطوة من قهر
له خضعت كل النفوس وأسلمت إليه زمام النصر سبحان من نصر
هو الحسن المقدام دام علاؤه مشؤوم على الكفار حزنهم ظهر
عليهم أطال الله سطوة ملكه في عز ونصر قامعاً بغي من كفر
له سيرة تُرضي الإلهَ قويمة فحدث ولا يعجزك عن سرد الضجر
إذا هو قد أبدى نتائج فكره تُقابَل بالتسليم، في غيرها نَظَر
له في الندى كف رحيب لسائل وفي الحرب سيف لانهزام الذي فجر
عَلِيٌّ حسام الله جده يا فتى فأعظم به إذ كان من بطل أغر
له همة تكسو الرجال مهابة عليه من الإقبال ما ذاع وانتشر
به مهدت أرض البرابر جملة وقد نالهم من حسن طلعته الظفر
عن المجرم الجاني يغض لطرفه فتعقُبُه من نفسه حسرة الضرر
يعامل بالصدق الصحيح محبه عليه يجور الدهر إن هو قد غدر
وكل الذي أبدى صلاحاً يحبه ولكن برجحان الذكاء له اختبر
يدبر للأمر الأكبر بنفسه يحل مهمات المصاعب بالسهر
رعيته في الزهو والأمن دائماً وإن زلة منهم تبدت لها جبر
بعلم كيميا ([4]) معْ سيميا تخصصاً ذكي له فهم يشق به الحجر
//31//

أطاعك جَبراً جابرٌ ملكَ الورى فهمْت لحَل العبد في زئبق الوطر
ليهنك هذا العيد يا حسن التقى بحضرتك العلياء في المحفل الأغر
أقمتم بفضل الله سنة مولد ويُنبِئ عن ذا ما يُشاد من العبر
بليلته العظمى جعلت مآدباً يسر بها الإنسان والجن لو حضر

---

1 - عَضَبَ فلاناً بالرُّمْح: طعنَهُ.
2 - كذا.
3 - من الفعل "إئتَسَى" الذي هو بنفس معنى "تأسَّى"، أي اقتدى.
4 - على هامش المخطوط ما نصه: وهو علم موجود خلافاً لمن أنكر وجوده، لكن له شروط، أخذه عن أهله من جملتها، بالكيفية حسبما نص على ذلك بعضهم في كتاب خلاصة الأثر، ونقلناه في تويلفنا المسمى باليواقيت والجواهر الرقيقة، فيما لا يسع الملوك نبذه من العلوم الدقيقة، سهل الله في إبرازه وخروجه.

وأسديت يا فخر الملوك مكارماً ... يحدث عنها حاضر عند من غبر
وجمعت أوصافاً حساناً بمحفل ... ينسي غناء الغانيات ذوي الخَفَر [1]
وحولك أبطال الرجال تزاحمت ... لنيل رضاكم في البوادي وفي الحضر
كؤوس سرور بينهم قد تداولت ... كدور كؤوس الراح في مجلس الظّفَر
وأما دموع الشمع حاكت بسلبها ... معيناً جرى من ماء أو وابل المطر
وأنت أمير المؤمنين عليهم ... عطوف كعطف الوالد المكرم الأبر
بعمرو المعالي [2] هاشم مقتداكم ... ولكن لم يحذو حذوكم بشر
لِلَيْلَتِه عَظّمْتَ قدراً لقد حلا ... سماع مديح المصطفى كلما انتشر
وأحضَرتَها خيارَ كل جماعة ... ومن نال من علياكم منتهى مَقَر
فقيهاً أديباً قد أذاب بسحره ... قلوباً فلانت للمواعظ عن قَدَر
وإني على وفق المشيئة قاعد ... ولو شاء ربي كنت أول من حضر
أحبكم والحب في القلب مورَث ... عن السلف الماضي بذا ثبت الخبر
وهذا قريضي شاهد ونسيجه ... لغيركم لم يلفَ مني له أثر
هنيئاً أمير المؤمنين بمولد ... سما فضله عند النبيئين واشتهر
//32//

لأسبوعه أبديتَ طيباً وزينة ... وفخراً على كل المواسم قد ظهر
وأحضرتَه فرسانَ كل قبيلة ... فيُشحذ فيه بندق القوس والوتر
وتأتي وفود الناس تبغي رضاكم ... إذ طاعتكم فرض فيا ويح من غدر
رماة بمضمار البسالة صفّفَت ... وأما خيول السبق في كل ما مقر
فمنها سريع الجري أدهم خالص ... وأحمر ذو حسن أعِد لمن فجر
وفاقع لون أصفر سرجه بدا ... موشى بأصناف الرقائق والعبر
عليهم ليوث لا يرام سيلهم ... بهم تهزم الأعداء بهم يدفع الضرر
عساكركم موفورة وجيوشكم ... مكللة بالعز والنصر والظفر
هنيئاً فهذا العيد عيد مبارك ... وسَعداً على مر الزمان لكم نَشر
محاسنَ أمداح زففتها حضرةً ... سَمَتْ بعلي للمعالي قد ابتدر
إمامٍ هصورٍ ذي الولاية سِرُّه ... تَبَدَّى كفجر بالمسرات قد ظهر
ونِسبَتكم حقاً له خيرُ نسبةٍ ... علوتم بني الزهراء سُدتم على البشر
فخذها أميرَ المسلمين مدائحاً ... يفوح لديها العنبر الورد والزَّهَر
مُرونقةً زُفّتْ على منكب التُّقى ... مرصَّعةً بالحلي تبهر من نظر
عَريّة عن تزويق لفظ ونسجه ... كنسج (...) ([3]) قد سَخَر
لقد لَبسَت من حُسنكم حُللاً بها ... تباهَت على الأقران في موكب النظر
وعذراً فليس النظم يحوي خصالَكم ... وهل شاعرٌ وَفّى بذاك ولو سَهر
فقابِلْها بالإغضاء يا ابن محمد ... عُبَيْدكم من أجل ذاك قد اعتذر
//33//

---

1 - خفِرَتِ الجاريةُ استحيت، اشتدَّ حياؤُها.
2 - كذا.
3 - كلام غير مفهوم، يقرأ "مُرَاء بالمسيكِن".

ومهرها عندي أن تنال رضاكم وتَعقُب بالسعد المبين لمن شكر
أحصِّنُها بالنجم مَعْ سورة الضحى من كل مَريدٍ بالتمشدُق ([1]) قد سَحَر
بقيتَ لقطع الظالمين مُؤَمِّناً سليماً من الأسواء في كل ما مقر
وقُررت عيناً بالبنين جميعهم ونلت من الأسرار فوق الذي ظهر
بِذُلٍّ وخِزيٍ باءَ باغضُ سيدٍ سَما فضلُه تَبّاً له كلما صدر
ولازلت في جِيدِ الزمان قلادةً يحلى بك الدين القويم وينتصر
وتخدمك الأتراك والعجم كلها وسائر ما قد دَبَّ من عالَم البشر
بجاه رسول الله جدكم الذي أنار به الإسلامُ غرتَه ابتدَر
عليه صلاة الله ثم سلامه وآله وأصحابه ما غرد الهَزَر ([2])
وما رنَّم الحادي فأعجب صوتُه بمدح النبي المصطفى كعبة الوطر
وما قائل قد قال ليلةَ مولد تبدت لنا حسناء ما مثلُها ظهر
تاريخها أبديه (شوقي لكم كفى) ([3]) ودال فؤاد من بعادكم انفطر

انتهت القصيدة المسماة ببشارة ذوي المزايا بمولد خير البرايا، ولا شك أنها خريدة جليلة الموقع والمقدار، يعترف بفضلها أهل النباهة والضخامة والفخار، فالحمد لله على ذلك، وهو الموفق سبحانه لسلوك أشرف المسالك.

فصل.

وبعد تمام غرض سيدنا من إقامة العيد المذكور على أكمل حالة، وتوجيه الحاضرين من أجله بالظفر والغنيمة والسلامة، ولسان الحال وقتئذ يناديه //34// بالإقبال، وينشده قول الأجلة الأنبال:

بقيت أمير المؤمنين مؤيداً تهنأ بك الأعياد ويصحبك السعد
وبشرى هنيئاً نلت كل مزية وألف هنيئاً قدر ما يبلغ الجهد
عيد مولانا إمام الأمراء ملكِ البَرَّيْن ذي النجم السعيد
مقبل باليمن والفتح على سائر الأزمان والعز المديد

جدَّ السَّيرَ حفظه الله قاصداً كمال المطلوب، وإدراكَ المؤمل والمرغوب، يقطع الأمكنة الصحراوية، والإمداداتُ منهم متراكمة آتية، إلى أن حل أيده الله قبيلة آيت مرغاد، حلولَ عز ونصر يدوم على الآباد، بجيوشه المصحوبة بالفتح الساطع، واليُمن الناصع، والسعادة الظاهرة، والسياسة القاهرة، تستنزل بسعادة

---

1 - كذا.
2 - يقصد الهَزَارُ: وهو العندليب؛ طائر صغير الجُثَّة سريع الحركة حَسَن الصَّوت، ريشه بُنيّ مائل إلى الحمرة، يألف الحدائق والغابات والأدغال ويظهر أيّام الرَّبيع. ويقال له: هزار دَسْتان؛ لأَنه يغني أَلحانًا كثيرة ، هزار في الفارسية بمعنى الأَلْف.
3 - ما بين القوسين مكتوب بالأحمر إشارة الى تاريخ القصيدة، ويضاف له حرف الدال من فؤاد، فقد كُتِبَ بالأحمر أيضاً، ومجموع ذلك 1311 هـ كما كتب على الهامش. وهو مجموع بحساب يخالف حساب الجمل الكبير والصغير، إذ تحسب فيه الشين 1000

الله عُتاة البُغاة من الصياصي [1]، وتأخذهم بعناية الله من النواصي، وتقود آخرين فيأتون منيبين، ومن العقوق متبرئين، ولأداء الحقوق ملتزمين، مع حركة من رجال آيت أزدك وصناديدهم، وأبطالهم وشجعانهم، فألفَوْا كذلك آيت مرغاد لطلعته الشريفة مرتقبين، وللدخول في حمى خميسه فرحين، فقاموا عاجلاً بالوظائف والضيافات، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد في باهر الإلزامات، متسابقين لجنابه بأنواع الذخائر والهدايا، عاكفين على لزوم بابه بأفلح الثنايا، واستوعب مولانا أيده الله جميع الأرض والبلاد، على ما هي عليه //35// من الوعورة وتباعد النوادي، ويسر الله له تخللها كلها، وعرها وسهلها، حتى ظفر أعزه الله بالقبض على رئيس فتنتهم وفسادهم، وذلك بتدغست بحبوحة بلادهم، من هو دائماً في لُجَّة المهالك يستصرخ وينادي، علي بن يحيى المرغادي، بعد أن ظن قبَّحَه الله أن بلادَه له مانعة، وأن سطوة سيدنا تحدها الأقطار الشاسعة، فحُسِمت به والحمد لله مادة المكر هنالك والفساد، وأراح الله من شوكته البلاد والعباد.

فصل.

وبعد أداء ما وظفه سيدنا على هذه القبيلة من المغارم، والحَقِّ الواجبِ اللازم، نهض أعزه الله عنهم، مصاحبين لركابه الشريف كذلك، بما وفقوا له من جميل المسالك، فسار حفظه الله حتى حل بالقبيلة العظمى، البالغة من العدد النهاية والحظ الأنمى، قصر السوق قبيلة آيت عطا، فتسارعوا جميعاً لامتثال أمره، وتحققوا بباهر عزه ونصره، وتسابقوا أفواجاً للدخول في حمى ظله الشريف، وقاموا على ساق الجد في تأدية اللازم والوظيف، فرحين مسرورين بوجهة سيدنا السعيدة، وطلعته الحسنية الفريدة، فأسدل عليهم إذ ذاك أعزه الله رداء السماحة والقبول، وأنالهم من كل مطلبٍ غاية القصد والمأمول.

فصل.

وصحب آيت عطا كذلك ركابه الأحفل، وجنابه الرفيع الأجل، من جملة //36// خدامه والنوائب، والجيوش والكتائب، إلى أن حل أدام الله سعادته، وفخره وسيادته، بعرمرمه الباهر، وجيشه القاهر، بلاد مدغرة محط الرجال الأفاضل، وينبوع الشرف والفضائل، فوافوا مُتلقِّين طلعتَه، مغتنمين رؤيته ونظرته، حصل لهم كامل الفرح والنشاط، ولاح عليهم باهر الوصل والاغتباط، فتبرك أيده الله برجالها، ونظر بعين الرعاية جميع رحابها، ومدَّ الشرفاءَ بها أبناءَ عمه بالمواهب المتكاثرة، والصِّلاةِ الوافرة المتضافرة، عين لهم صلة كبرى، تؤذن بكمال المسرة والبشرى، رشح لتوجيهها فرعَه الزكي، العاقل الذكي، ذا السكينة والاحتشام، والرعاية والاحترام، والعلاء المؤبد، والفَخَار المسرمد، من سما إلى مقامات الاختصاص والتبريز، الشبل الكامل مولانا عبد العزيز، نيابةً فيها عن سيدنا ومولانا، ونعمة الله على المسلمين التي أولانا، فتلقوها جميعاً بالقبول الكامل، والفرح العام الشامل، واكَّبوا على إتحاف سيدنا وأنجاله بالدعوات الجليلة، والتحصينات التي هي بالتأييد له والتوفيق جديرة وكفيلة، فرجع الشبل بذلك مسرورَ القلب والجوارح، سالكاً طريق النفع والمصالح، مصحوباً بالمواهب الغزيرة والأسرار، والفتوحات الوهبية والأنوار، تقبل الله من سيدنا هذه المنقبة العظمى، وجعلها له ذخراً في دار الجزاء والنعمى.

1 - الصياصي: جمع صِيصِيَة وصِيصَة: الحُصُون.

فصل.

ولما قضى الأربَ سدَّده الله من الزيارة وتم له الغرض، وأدى من ذلك الواجب //37// المتعين المفترض، نزل أيده الله بالجيوش العامة المتكاثرة، والكتائب الصحراوية المتظافرة، بالقبيلة المدعوة بأعراب الصبَّاح، التي منها ظهر نور سجلماسة ولاح، فقاموا بامتثال أمره عاجلاً، وألقوا السلاح له وضيعاً وفضلاً، وكيف لا وقد شاهدوا من سطوته ما بهر العقول السليمة، ومن كراماته كذلك المتزايدة الدائمة، ووظف عليهم إذ ذاك من المغارم ما اقتضته المصلحة لبيت المال، والسياسة المحمودة العاقبة والمآل، فما نفعهم إلا الخلاص، وقد علموا أن لات حين مناص، وأدوا ذلك سريعاً من غير مهلة ولا تراخي، سواء في ذلك القوي والضعيف والبعيد والمؤاخي. وبهذه القبيلة كمل نظر سيدنا بما أراده من قبائل آيت يفلمان في المرور، وسعادته بفضل الله لا زالت في الزيادة والظهور، والله يزيد سيدنا مع ذلك رفعة ومهابة وضخامة، وإقبالاً مؤبداً وصولة وزعامة، بمنه وكرمه.

الباب الثاني [1]

في حلوله أيده الله بشدة اشتياق موطن أسلافه سجلماسة، محفوفاً باللطائف وكمال الصولة والرئاسة، وزيارته بها لجده ذي الظل الوريف، أبا الحسن مولانا علي الشريف، إلى ما ظهر له هنالك من عجيب المآثر والخوارق، ولاح عليه من سني البوارق.

أقول: وحيث كان المقصد //38// المقصود الأهم عند سيدنا من هذه الوجهة كما قدمناه وأوضحناه وبيناه، هو إعمال السير بالقدم لزيارة ضرائح الأسلاف ذوي الفضل والكرم، نهض عزماً من أعراب الصبَّاح المذكورة، بعين الحفظ والرعاية الجميلة المبرورة، إلى سجلماسة موطن أسلافه الكرام، وبلاد أهل الرعاية والمهابة والاحترام، أرضُ مولانا علي الشريف تَنَوَّرَت، وبكونها مأوى آل البيت الطاهر تقدست، شُهِدت قِدَماً بأنها موطن العبادة، ومسكن من أراد من الله الحسنى والزيادة، محاسنها لا تحد، وخصوصياتها لا تعد، حازت شرفاً وفخراً، وعظمت شأناً وقدراً، فتلقَّت ركابَه العالي بالله، المحفوظ بعناية سيدنا ومولانا رسول الله، قبائلُها المعتبرة، ذوو الأعداد والعُدد الموفرة، في غاية سرور واغتباط، وكامل فرح ونشاط، مخدراتهم ذوات الألوان الصافية الرائقة، تولول داخل العطاطيش ([2]) بأصواتها العجيبة الفائقة، وبالجملة فجميعهم حُلِّي بباهر السرور والابتهاج، على أحسن نسق وأعظم منهاج.
ثم تراكمت عليه إذ ذاك أعمامه وأبناء عمه الشرفاء الأجلة، والبدور القادة الأهلة، قاصدين لقاءه والتبرك به، ونفوذ أمره الواجب ومطلبه، يشكرون الله على ما به أولاهم، وخولهم من مواهبه الجليلة وأعطاهم، ثم أمر أعزه الله بالتخييم بمحل هنالك يدعى بالدار البيضاء ([3])، التي منها استنار نجم السعادة وأضاء، قصداً //39// للراحة، وميلاً لطريق الشفقة والسماحة، متمثلاً في ذلك حفظه الله بقول بعض أهل الصدق والوفاء، والأدب والمهابة والرعاية والاصطفاء:

قف بالديار فما المراد سواها ... وأرح ركائب تشتكي مسراها
هذي منازل بالجمال قد ازدهت ... وتزينت أرجاؤها تتباهى
وتشرفت بجوار أوحد عصره ... غوث البرية ذخرها ملجاها
بحر الندى باب العطا سيدي علي ... علم الهدى كنز العلا مأواها
أنواره تهدي السرور لزائر ... والنفس قد جزمت بنيل مناها
فقل السلام عليك يا كهف الغنى ... سر الأنام وزين شمس ضحاها
واستمطرن بركاته من منهل ... عذب صفا فقد استبيح حماها
وسل الأمانَ لخائف من ذنبه ... ولباس ثوب معارف وحلاها
وتشفعن بمحمد خير الورى ... لتنال من حلل الرضى أعلاها

---

1 - كتب المؤلف على الهامش: الباب الثاني في المقصد الثاني الذي هو أهم المقصدين عنده حسبما قدمناه في المقدمة.
2 - ذكر أوجست موليراس في كتابه "المغرب المجهول" قرية تسمى "العطش" وقال عنها: توجد بسهل جنوب شرق سوق الأحد. وهناك من يزعم بأن القرية تحمل هذا الاسم لأن سكانها مختصون في صنع العطاطيش (مفردها عطوش وهو هودج يوضع على ظهر الجمال). انتهى. انظر ج1 ص201
3 - وكان حلوله بها في السابع والعشرين من ربيع الثاني كما قال السباعي في البستان الجامع. انظر مخطوط البستان ص479

صلى عليه الله عدة قائل قف بالديار فما المراد سواها

ثم بعد استيطان الركب الشريف على أكمل حال، وترتيبه في تلك الأماكن على أحسن ترتيب منمق ومنوال، توجه نصره الله لزيارة ضرائح الأسلاف، أهل المراتب العليّة والإتحاف، إذ ذاك هو أحد المقصدين عنده حسبما قدمنا من وجهته، وكريم ظهوره وطلعته، فدخل بأدب ووقار، وخضوع كامل واضطرار، مشاهدا لمآثرهم الجميلة، ومزاياهم //40// العظيمة الحفيلة، متضرعاً إلى الله ببابهم، ولاجئاً إليه بحسن عهدهم ووداهم، خصوصاً عند ضريح الجد الأكبر، والولي العارف الأشهر، الكامل المكمِّل، الواصل الموصِّل، ذي الفتوحات الوهبية، والسيادة السرمدية، والظل الشامل الوريف، أبي الحسن مولانا علي الشريف، أعاد الله على الجميع من بركته، وسقانا من معين وداده ومحبته، فاغتنم سيدنا أيده الله زيارته، وطلب من مولاه بجاهه نصره وإعانته، وسرح الطرف في تلك الميادين والآثار، وأدمن النظر لتلك المحاسن بعين الرعاية والاعتبار، وأدى والحمد لله مطلوبي صلة الرحم والزيارة، والفتحُ واليمن يسوقان لأعتابه الشريفة السرور وكمال البشارة، واجتمع هنالك الفرع بالأصل، وأقيمت مواسم الانشراح والوصل، وواصل مولانا الشرفاء بها بالألوف والصنوف، (...) ([1]) بحمد الله على عهده المقرر المألوف، وكانت مدة إقامته بالمحل المذكور ثمانية عشر يوماً، يتأمل تلك المنازل الجليلة العظمى، والبلادُ ترقص به فرحاً وطرباً، وتستكمل به قصداً وأرباً، زادت به رفعة وتشريفاً، وكيف لا وقد أقام عليها حفظه الله ظلاً وريفاً، ينظر للآداب والأحكام، ويقرب أهل الرعاية والاحترام، ومن بالعلم والتقى فيها وُسِم، وبالخير والصلاح شُهِر وعُلِم، ويبحث عن كل أمر بعين البصيرة، ويرتب الأمور على أقوم حال وسيرة، فيزيد أهل الصلاح شرفاً بقربه، وحضاً على لزوم القرب من //41// خالقِه وربه، ويذكرهم أن مدار السلامة على التقوى، ومخالفة النفس فيما تحب وتهوى، فبشراه على هذه المزايا الحميدة البشرى، وهنيئاً بما وُفق له من سعادة الدنيا والأخرى .
ثم مازال أعزه الله يمدهم في ذلك بكرائم المدد، ويتحفهم بالأسلحة النفيسة والعُدد، وبالحلل البهية المُرَونقة، والملابس اللطيفة المنمقة، وزادهم مع ذلك من الخيول العتاق عدداً كثيراً، ومن البهائم الحسنة ما عم نفعه كبيراً وصغيراً، فحصل لهم بمَقْدَمِه كامل السرور والفرح، وانزاح عنهم بحول الله كل ألم وترح، وخدمتهم من أجله العناية، وسيقت لهم المواهب على أكمل حالة ونهاية .

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

فلله ما أعظمها مِنَّةً جَلَّ ارتقاؤُها، ولله ما أشرفَها مَكرُمةً عَظم سَناؤُها، قد احتوت على محاسن وأحاسن، (...) ([2]) الكَاشِحَ وتسيغ الحبيبَ شراباً غير آسِن، اللهم بجاه مَحتِد ([3]) الأكوان، سيد ولد عدنان، أدِمْ مولانا على ما عَوَّدتَه من السعادة الأبدية، والسيادة السرمدية، آمين.

فصل.

وبعد أن استوفى سيدنا أيده الله الغرض من الإقامة، توجه بالحفظ والعافية والسلامة، وهو حفظه الله يتبختر في مملكته الفريدة، وخميسُه السعيد على أكمل حالة مُرضية رشيدة، يشاهد لديه المواهبَ والعطايا، ويظفر من سيادته بالتحف الجليلة والمزايا، //42// قاصداً حفظه الله بعد كمال مرغوبه حضور حضرته المراكشية الفاخرة، ذات الحلل الزاهية المرونقة الزاهرة، بعد أن كان وجَّه على العادة من سجلماسة السعيدة، ذات

---

1 - كلمة تعذر ضبطها. تقرأ "وجاء" والله أعلم.
2- كلمة تعذر ضبطها، لعلها "تسترقّ"، يقال: استَرقّ فلاناً: أي ملَكه، واتَّخذه عبداً. والكَاشِحُ: العَدُوُّ المُبْغِضُ.
3 - المَحْتِدُ: الأَصْل.

المكارم المتزايدة، والأسرار المديدة، مسطورة المهذب الجليل، المقابَل بغاية التعظيم والتبجيل، بسلامته وحفظه وعافيته، لسائر ولاة أمره ورعيته، يخبرهم بما من الإمدادات له حصَل، والمواهب والفتوحات بوجهته الفريدة اتصل، وما ظهر لعزيز جنابه من المفاخر أولَ رحلة، والانقياد في الباطن والظاهر وانفعال النفوس الكريمة له، مع كفايته شر كل ذي بغي وعناد، بقوة ربه مالك البلاد والعباد، اهتماماً بشأنهم، واعتناءً منه بأمرهم، فيحمدون الله على ما به أنعم عليه، من توالي إمداداته وفتوحاته دائماً لديه، فطار عزماً بأمره المُتَبَّل ([1]) أحد الشعراء لفاس بذلك، يشنف آذانهم باستماع ما جرى من المزايا له هنالك، إلى أن وصل بالسلامة دار مملكته العليّة، وحضرته المباركة الزكية، المؤسسة بفاس البيضاء، التي نجمُها في سماء السيادة استنار وأضاء، فدفع كتاباً شريفاً، معظماً منيفاً، مشتملاً على ما ذكرناه، وباختصار بيناه ووضحناه، دفعه لنجله السَّرِي ([2]) الأصْعَد، الماجد المعظم الأسْعد، ذو الفطنة والنباهة والذكاء، والأدب المؤذن بكمال التربية والثناء، والسيادة الكاملة، //43// والسعادة الشاملة، والمواهب الجليلة الغرر، الشبل المبارك مولاي عمر، وفيه كنت قلت من جملة أبيات:

يا ابن المليك المنتقى ومن غدا منهجه على السنن
قد نِلتَ للحُسن وللخُلق الحَسن بطاعة الوالد مولانا الحسن

ففتح الكتاب بأدب وقبله، وعلم أمره فامتثله، وحصل له بما انطوى عليه السرور الكامل، والفرح العام الشامل، وأنشد بلسان حاله إذ ذاك:

وإذا الأحباب فاتهم التلاقي فما صلة بأفضل من كتاب ([3])

جاء البشير مبشراً بفتوحكم فملئتُ من قول البشير سروراً

ورد الكتاب فكان عند وروده عيداً ولكن هيج الأشواقا ([4])
أَلِفاته قد عانقت صاداته كعناق مشتاق يخاف فراقاً
فكأنما النون فيه أهِلّةٌ وكأن صاداتِه أحداقاً
فعسى الإله كما قضى بفراقنا يقضي لنا يوماً بأن نتلاقى

وأثنى على ربه وحمده، بما إليه وفق والده وأيده، وأمر بإقراء ذلك عاجلاً على أهل تلك الحضرة، ذات البهجة العلية والنظرة، فابتدر خُدَّام جنابه لامتثال أمره، ونطق الكل ببلوغ الأمنية في جهره وسره.

لولا البَشير البِشْر بَشَّرنا لَما زار العيونَ وحَقِّك الإغفاءُ

---

1 - تبَّل الحديثَ: أضفى عليه شيئاً من المتعة والطرافة والاهتمام.
2 - سَرِيَ الرَّجُلُ: شَرُفَ. - أصعَدَ في الأرضِ: ارتقى في أرض تعلو.
3 - جاء في نيل الابتهاج للتنبكتي ص360 ما نصه: قال المواق: حدثني شيخي المنتوري قال: حدثني شيخ الشيوخ ابن لب قال: خطر لي خاطر خير فأردت أن أجعل على نفسي وظيفة من ذكر وتلاوة وترددت أيهما أفضل فأنشدت في النوم:
إذا الأحباب فاتهم التلاقي فما صلة بأفضل من كتاب
4 - انظر نفح الطيب ج2 ص455

قد غم كل منافقٍ ومداهن وسَرَت إلى سَرَّائه الضراء
تفطرت أكبادُ حُسَّدِ نعمةٍ وتقطعت فزعاً لهم أمعاء
//44//

وتسربلوا بالخزي في درك الشقا ما ثم فوق شَقَا الحسود شَقاء
تجري الدماء منهم على وجناتهم فلذلك عينُ وجودِهم عمياء
فطعامهم بعد النفائس أنفُس وشرابهم بعد الزلال دماء
ووجوههم مصفَرة مما بهم وكذا تنفسهم هو الصُّعَداء
يكفي الحسود بأن سَحنَةَ ([1]) بين الخلائق غمة سوداء
هل يستوي صبح وليل أَلْيَل والدُّرُّ ليس كمثله الحصباء

فصل.

وبإثر وصول الكتاب لمن ذكر بالبشارة والتهنئة، طار السفير بكتاب آخر مثلِه لعامل الرعية، وهو وقتئذ خديمه الرئيس الأرضى، الماجد الأعز المرتضى، السيد علي الرشيدي، ففتح الكتاب وقبل الأرض لديه، بعد أن لَثَمَه ([2]) وجعله بين عينيه، واهتز إذ ذاك فرحاً وطرباً، وتكمَّل (كذا) منه قصداً وافراً وأرباً، ثم دَعا كما أُمِر لاستماع خطابه العامَّ والخاصَّ، لينيلهم به كمال الاعتناء والرعاية والاختصاص، فجاءوا مسجد القرويين على العادة أفواجاً أفواجاً، بقصد الاستماع مستبقين فرادى وأزواجاً، ولمَّا أن مُلئ المسجد بأهله وغاص، ونزلت السكينة فيه على العوام والخواص، وتشوق الكل للإلقاء والاستماع، راجياً من ذلك حصول المسرة والانتفاع، صعد المنبرَ السعيد من قُدِّم من الفضلاء لذلك، مشنفاً الأسماع بمزايا سُطِّرت هنالك، //45// فقرأ عليهم الكتاب الشريف فصلاً فصلاً، وهم يحمدون الله على ما مد أميرَهم به موهبةً وفضلاً، وافترقوا بعدُ والشاهد منهم يبلغ الغائب، مشتغلين بالدعاء لسيدنا في كل المحافل والمواكب، مستنيرين بسنا وجهته وطلعته، لاهجين بذكر فضله ونصره وعزته، مادحين لمزاياه ومآثره، شاهدين بعظيم كماله ومفاخره، حيث حل أيده الله تلك الأماكن الشاسعة بسيف عزمه، واستأصل أربابها بصواعق سياسته وحكمه.

هذا وما كملت القراءة المذكورة، السعيدة الجميلة المبرورة، حتى اهتزت البلاد برعد الليُوثِ المَدافع، من بها عن الدين يحارِب المحارِب ويدافع، مبشرَةً بظهور نصرها، ومعلمة بتأبيد عزها وفخرها، تنشد سامعها بلسان عجيب، وتقول بصوت مديد غريب ([3]):

هنيئاً فهذا اليوم يوم مبارك بوفد سفيرٍ قد أتى بكرامة
يعَرِّفنا أن الأمير أخا التقى أمِدَّ بتأييد لنهج السلامة
ينبئنا بالنصر والعز والعلا ونيل مزايا مَعْ شريفِ ضخامة
فبشرى لنا بشرى هنيئاً بما به أتانا فنعم السبل سبل هداية
فأيامه زهو وأمن وراحة وسعد وإقبال ويُمنُ رعاية
رعى الله مولانا الأميرَ وحزبَه وأبقاه محفوفاً بذيل الزعامة

---

1 - السَّحْنَة: الهيئة والحال، الشكل واللون.
2 - لَثَمَهُ عَلَى خَدِّهِ: قَبَّلَهُ.
3 - كُتب فوق الأبيات "لكاتبه"، فهي للمؤلف.

ثم زُخْرِفَت بالقرب على العادة الدكاكين والأسواق، //46// وبادرت خيول السبق لميادين الاستباق، وأمر الخديم المذكور باستعمال الولائم العظيمة طرباً بذلك، مرتبةً على أجمل الطرائق والمسالك، بعد أن كان افتتح هو سدده الله بوليمة عظيمة، ومأدبة فخيمة جسيمة، جعلها في الرياض المبتهج السعيد، البهي المرونق الفريد، اشتملت على أنواع الأطعمة اللذيذة الجيدة، والأشربة الرائقة الحميدة المتأكدة، دعا لها أعيان الرعية ورؤساءَها، وكبراء المدينة وعظماءَها، فأقام نفعه الله يوماً تتناشد فيه أطيارُ الفرح والسرور، وتقول من غير ما هدنة وفتور، تخاطب بذلك أميرنا المعظم، وياقوتة العقد المنظم:

هنيئاً فساعي البر أقبل بالبشرى وأخبر أن الله توجك النصرا
فطاب لنا وقت السرور وأصبحت عيون الهنا ترنو بألحاظها شكراً

تكررُ ذلك بنغماتها العجيبة، وأصواتها اللطيفة الغريبة، وأهل تلك الحضرة المرونقة، السَّمِيَّة المنمقة، يناشدون كذلك فيما بينهم بكرائم الأدب، وعجائب أشعار الفحول من العرب، يقولون بألسنتهم المطربة، وأصواتهم الحميدة المعجبة:

ظفرنا بما نهوى وقد حفنا السعد فحي على حَي المَسرة يا سعد
وطابت نفوس الأَنس منا وأعلنت صوادحُ أطيار الهنا طرباً تشدو
وخابت ظنون الحاسدين فأصبحوا حيارى بخزي لا يعيدوا ولا يبيدوا
وقد جاء نصر الله والفتح مورد ترى الناس فوجاً بعد فوج لها وِرد
ومن صادف البحر الخضم سعى له وحَف به والخير في رَكبه يَحدو

//47//

ثم تبع العاملَ بالإثر على هذه الطريقة الحسنى، والمَهيَع [1] الرفيع الجليل الأسنى، كبراءُ المدينة كذلك كبيراً فكبيراً، ثم بعدُ من يليهم غنياً أو فقيراً، فرحاً منهم بسلامة أميرهم، وسروراً بكسر الفجار وهلاكهم، وكل هذا لعمري في الفرح لسيدنا كما لا يخفى نزر يسير، وشيء بالنسبة لمقامه قليل وحقير، وإلا فشكر مزاياه لا يقوى أحد عليها، ولا بكثرة العدد يصل فاضل إليها، يعترف بذلك أهل الذوق والنباهة والإنصاف، سيما من له بنور الفراسة الجليلة اتصاف، وكيف لا وبه أيده الله تُقام معالم الشريعة والإسلام، وينتظم عمر الخاص والعام، وينتصر المظلوم، ويُهزَم المعاندُ الظلوم، وتَأمنُ الطرقات، وتؤتمن الأمانات، وينام القوي والضعيف في ظل الأمن والعافية، ويرتع الشريف والمشروف في رياض النعم الوافرة الوافية، وتحصن الحصون والثغور، وتصان المدائن والقصور، وتنزاح عنها بفضل الله كل مضرة، وتكمل لنا بحول الله البشارة والمسرة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم، خيرُ أهل السماء قاطبة والأرض: «إِذَا مَرَرْتَ بِبَلْدَةٍ لَيْسَ

1 - المَهْيَعُ من الطُّرق: البَيِّنُ.

فِيهَا سُلْطَانٌ فَلا تَدْخُلْهَا، إِنَّمَا السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ، وَرُمْحُهُ فِي الأَرْضِ» (1). وقال أيضاً منوهاً صلى الله عليه وسلم بقدر الخلافة والإمامة: «السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه الضعيف، وبه ينتصر المظلوم، //48//ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة» (2). وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم مبشراً لمن آمن به واهتدى: (السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ غَشَّهُ ضَلَّ وَمَنْ نَصَحَهُ اهْتَدَى) (3)، إلى غير ذلك مما يطول جلبه لكثرته، واشتهاره لدى الكل ومعرفته، ويرحم الله القائل:

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان ضعافنا نهباً لأقوانا

ولله در أبي مدين الفاسي حيث قال مذيلاً في هذا المعنى قول جده الوارد الصادر، العلامة سيدي محمد بن عبد القادر، في رسالة بعثها للسلطان الجليل، مولانا إسماعيل:

حكمةُ الله في الورى الأمراءُ لا يزال بهم يزول المراء

قال بعده:

وبحبهم تعز البرايا وبنصرهم تصان الدماء
وبسطوتهم تقام حدود وتُهاب من عزهم ضعفاء
ولأهل الخيرات فيهم وقار ومنافع لها إحصاء
وبهم يستقيم للدين أمر وتصان الشريعة البيضاء
مِنَّة الإله على الخلـ ـق التي حَيِيَت بها الأحياء
لم يزالوا على الأرامل ظلاً بل على الخلق ما له أفياء

أَنشُدُك بالله بأي جارحة يُوفَّى قدر هذه النعمة الكبرى، والمزية العالية الظهور والبشرى، وكيف إذا لا تُسْتَعْمَلُ الولائم العظامِ، //49// من أجل سلامة سيدنا ومولانا الإمام، وتتناشد فيها أطيار السرور والبشارة، وتفصح عن ذلك بأعجب صوت وأكرم عبارة، ويجول فكر الناظم والناثر، في نشر تلك المزايا الجليلة والمآثر، وهو أعزه الله لم يزل في أمرنا ضجيع السُّهاد (4)، طاوي الحشا والفؤاد، يدبر في كل وقت للرعية

---

1 - قال المناوي في فيض القدير، حديث رقم 857 : (إذا مررت)، من "المرور"، (ببلدة)، في حال سيرك، (ليس فيها سلطان)، أي: حاكم، وأصل "السلطنة": القوة، ومنه: "السلاطة"، لحدة اللسان، (فلا تدخلها)، فإنها مظنة البغي والعدوان والتهارج، ومن بغي عليه فيها لم يجد ناصرا، وإذا نهى عن مجرد الدخول، فالسكنى أولى، وعلله بقوله: (إنما السلطان)، أي: الحاكم، (ظل الله)، أي: يدفع به الأذى عن الناس، كما يدفع الظل أذى حر الشمس، (ورمحه في الأرض)، أي: يدفع به ويمنع، كما يدفع العدو بالرمح، وقد استوعب بهاتين الكلمتين نوعي ما عليه الوالي لرعيته، أحدهما: الانتصار من الظالم، لأن الظل يلجأ إليه من الحر والشدة، والثاني: إرعاب العدو، ليرتدع عن أذى الرعية فيأمنوا بمكانه من الشر، والعرب تكني بالرمح عن الدفع والمنع، قال الماوردي: وبالسلطان حراسة الدين والذب عنه، ودفع الأهواء عنه، وروى الطبراني أن عمرو بن العاص قال لابنه: "سلطان عادل خير من مطر وابل، وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم، وزلة الرجل عظم يجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر، يا بني: استراح من لا عقل له"، فأرسلها مثلا. أهـ

2 - رواه ابن النجار عن أبي هريرة، ورواه البيهقي عن ابن عمر رفعه. انظر مجلة دعوة الحق العدد 279

3 - رواه البيهقي عن أنس.

4 - السُّهَادُ: الأَرَقُ، أَيْ ذَهَابُ النَّوْمِ عَنْهُ لَيْلا.

أمرها، ويُسيغ من مشاقِّ الحوادث صعبَها ومُرَّها، ويحرس بسياسته أرجاءَها وأنحاءَها، ويدرأ عنها بحسن تدبيره أعداء الله وأعداءها، ويركب في جلب العافية لنا مُتون السهل والوعر، ويَلقَى بنفسه صدمات العدو في الحر والقر، متحملاً للنَّصَب، مستقِلاً لما ناله في جانب الله من التعب، ولو كان ما يقاسي من مكابدة أعداء الدين وروغانهم لكفى، حسبما على من له أدنى بصيرة من أهل الإيمان لا يخفى، مع ظهور يُتْمِ الإسلام وغُربته، وكثرة الزائغين عن طريقه وملته، والله سبحانه المسؤول أن يكفيه كيد الحادِّين ([1]) والملحدين، ويبقيه كهفاً وملاذاً للإسلام والمسلمين، بمنه وكرمه.

فصل.

ولهذا لما ورد المسطور الكريم من حضرته بما سطرناه، وأوضحناه بحسب الجهد وبيناه، بادر سيدنا الوالد سدده الله ومتع به لجعل خطبة في ذلك على العادة نفيسة، مختصرة أكيسَة، يعرف الحاضرُ لها مزاياه ومآثره، ومناقبَه الجليلة ومفاخرَه، ليبادروا بحمد الله تعالى وشكره على ما به أمده من كريم عزه ونصره، صعد بها يوم الجمعة منبر حضرته الشريفة، //50// لدى نجله سيدنا ومولانا الخليفة، فشنَّف بها الآذان والأسماع، وحصل إن شاء الله بها الأجر والانتفاع، فجزاه الله عن مَجادة سيدنا الإمام خيرا، وأثابنا وإياه دنيا وأخرى.

ونصها بثانيتها:

الحمد لله ذي الفضل والامتنان، الذي لا نصر إلا من عنده، العظيم القدرة والسلطان، الذي لا حول ولا قوة إلا منه لعبده، القائل على لسان نبيه الذي أنزل عليه الفرقان، (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده)، نحمده تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ونشكره أمثالا على ما خول من ألطافه ورفده، ونشهد أن لا إله إلا الله القوي المتين، الغالب بسطوة جلاله ومجده، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده المؤيد بالفتح المبين، المبعوث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا نفوسهم في إعلاء كلمة الله ووفوا بعهده، صلاة وسلاما لائقَين بكماله، يتنعم ([2]) بهما إن شاء الله في عدن الجنان وخُلْدِه، من يطع الله ورسوله.
عباد الله، إن شكر النعم واجب على كل إنسان ([3])، وإن حمده سبحانه فرض على الأعيان، فكم لله علينا من نعمة هو مسديها، وكم له جَل ثناؤه من مِنَّة هو مُطمِرها ومبديها، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.
وقد أنعم المولى سبحانه على سائر الأقطار والبلاد، بكفاية إمامِنا المؤيَّدِ شرورَ أهل البغي والعناد، ولطفِه سبحانه في كل الأحوال، وصرفِه ما أهم من طوارق الفتن والأهوال، فاقدروا رحمكم الله قدر هذه النعمة، //51// وبعِقال الشكر قيدوا أوابدها، وتحدثوا بها يا أمة نبي الرحمة، وبتمائم الحمد حصنوا شواردها، واعتصموا أعانكم الله بالكتاب والسنة، وأخلصوا الطاعة لأميركم الذي جعله الله لكم وقاية من الفتن وجُنة، أميرٌ أسس اللهُ به للمسلمين أمنا، وشيد به من العافية معالم وحصنا، إذ مازال أعزه الله يبادر لإصلاح ما أفسده المفسدون بالباد، وتشتيتِ كلمة أهل الزيغ والعناد، ويطفئ نار الفتن ويخمدها، ويقطع دابر من كان في الفيافي يوقدها، بالقسط والأناة والعدل يتقلب، وبذلك على كل غالب يتغلَّب، راياتُه حيثما توجه منصورة، وفضائله ومزاياه ليست بمحدودة ولا محصورة، وإنه الأسد الورد والهصور، به تُحصَّن الحصون وتصان المدائن والقصور، وبه يمحو الله أهل البغي والعناد، ويريح منهم جميع البلاد والعباد، به

---

1 - حادَّه: غاضَبه وعصاه، عاداه وخالفه.
2 - في المخطوط "نتنعم."
3 - في المخطوط "الإنسان."

أصلحه الله تصلح الدنيا وتستقيم، وبعافيته يربح المسافر وينجح المقيم، وبه ينام الضعيف في ظل العافية، ويرتع الشريف والمشروف في رياض النعم الوافرة الوافية، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: (إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض). وقال أيضا: (السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم، ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة). وقال ذو النورين عثمان بن عفان ما معناه: إن الله ليَدفع بالسلطان ما لا يدفع //52// بالقرآن، وقال سهل بن عبد الله التستري: "إن لله سبحانه في كل يوم نظرتين، نظرةً إلى سلامة أموال الناس، ونظرة إلى سلامة أبكارهم، فيطلع في صحيفة السلطان فيغفر له". وقال أيضا: "الخشبات السود المعلقات بأبواب الملوك أفضل من سبعين قاصا يقصون."

فأجمِعوا عبادَ الله قلوبكم على طاعته ومحبته، فإن قلب الراعي على قلوب رعيته، وابتهلوا إلى الله بصالح الدعاء له، وتوسلوا في صلاحه بخير رسول أرسله، فقد قال أبو عمر: "وكل من أمكنه نصح السلطان نصحه وإلا دعا له ."

جعلني الله وإياكم ممن سلك سبيل السنة والجماعة، فلخَّص لأميره الدعاء وأخلص له المحبة والطاعة، إن أحسن ما يتلى على المؤمنين كلامُ من يَمُن على أميرهم بتأبيد التأييد والتمكين، (ولولا دفاع الله الناس بعضَهم ببعض لفسدت الأرض، ولكن الله ذو فضل على العالمين). وهو المسؤول سبحانه أن يغفر لي ولكم ولجميع المسلمين.

<u>ونص ثانيتها</u>: الحمد لله الذي أولى أتقياءَ عباده من عذابه عافية وأمنا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه الذين كانوا على نصرة الدين إخوانا وأعوانا،

عباد الله، قال مولانا جل علاه: (اذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون). فاذكروا يا خير أمة آلاء الله لعلكم تفلحون، واشكروه على ما يغدوكم به من نعمة إن كنتم إياه تعبدون، (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون)، //53// واحمدوه تعالى على فضله الظاهر ولطفه الخفي، واعترفوا بما لله عليكم من جوده الوافر وإحسانه الوفي، يزدكم المُنعمُ نِعما، ويُوالِ لَديكم الكريمُ كَرما، واسألوه سبحانه أن يعاملنا بالعفو والعافية والرضى، ويحسن إلينا فيما بقي كما أحسن فيما مضى، فإن إحسانه سبحانه لا ينقطع مددا، وسائلَه لا تخيب وسائلُه أبدا، وجِدُّوا فيما تَجِدُونَه، وقدموا لأنفسكم ما تحمدونه، لاسيما الصلاة على أشرف المخلوقات، التي هي من أجَلِّ الذخائر وأفضل البضاعات، اللهم صل على سيدنا محمد أفضلِ داعٍ إلى طاعتك، وأجلِّ سابقٍ إلى حلول دار كرامتك، وارض اللهم عن آله وأصحابه الأطهار، وخاصتهً من المهاجرين والأنصار، اللهم انفعنا بمحبتهم، وانصر اللهم من جمعت به شمل الدين، وكسرت به سَوْرَةَ [1] الملحدين المعتدين، وشرَّفتَ به فرعَ الخلافة وأصلَها، وبَوَّأتَه دارَ المعالي فكان أحق بها وأهلَها، الإمامَ المنصور بالله المظفر المؤيد، أميرَ المؤمنين أبا الفضائل مولانا الحسن بن سيدنا محمد نصرا عزيزا تعز به الدين، وتُذِل به رقابَ أعدائك المشركين المعتدين. اللهم أصلح به وعلى يديه، اللهم وفقه للخير وأعنه عليه، واجعل اللهم سيرته بصلاح البلاد والعباد مشهورة، ونفسَه ببلوغ آماله وأغراضِه مسرورة، وزده اللهم عزا ورفعة وامدُد له عونا، وزد أرضنا به هناءً وعافية وصيانة وأمنا، وجدد اللهم على رعيته من بشائر عفوه وسلامته ما تقر به //54// أعينهم وبه أنفسهم تطيب، وضاعف اللهم لدى إمامنا أيَّده الله على طول المدى "نصرٌ من الله وفتحٌ قريب"، وكن له في الأمور كلها معينا وكفيلا، واجعل اللهم ما أعطيته باقيا في عقبه لا تبديلا ولا تحويلا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. ربنا إنك رؤوف رحيم) سبحان ربك الخ. انتهت الخطبة السعيدة الفائقة الفريدة، المتضمنة باختصار نشر مآثر سيدنا ومولانا الإمام، والتبشير

1 - سَوْرَةُ السُّلْطانِ: سَطْوَته، غَضَبُه.

بسلامته التي هي العز لكل الأنام. فَلْيَهْنَ مولانا بوجهته هذه التي هي في عقد توجهاته يتيمة، وكيف لا وقد احتوت على مزيد أجر وغنيمة، بل يحق للزمان أن (يهش) ([1]) بطالع كوكبه المنير، ويفخر بمآثره على الأول والأخير، وقد خامر العقول والأرواح ما لا يكيف من الفرح والسرور، وابتهج العيش وارتاحت لأجل ذلك الصدور، فأعظم أيها المنصف بذلك من مآثر ومظاهر، لا زال رونقها يلوح على الباطن والظاهر، فيها يجب أن يُنشَد لعمري حقا، ويقالَ حُبا في جانب سيدنا وصدقا:

ألا أبشر هذه الآمال وافت وأنجزت الوعود على التوال
وأفق النصر فارَقَه غمام وبدر اليمن بان أخا كمال
فَقُمْ فلتنتَهِز فُرَصَ الليالي وخذ خبر الغرام بلا مثال (كذا)

//55//

بمن أولاهم المولى مقاما تناهى في المكارم والمعالِ
فلاحَ فلاحُ أهل الفضل منه وفاح شذاه مفقودَ المثال
بدت آياتهم للناس شمسا تكل الناظرين عن المقال
لحقٌّ أنهم حصن وظل وغيث وابل طامي انهِمَال ([2])
وسيف الله يأخذ ثأر ظلم وبحر للفضائل والنوال
كفى لفخارهم أن كان فيهم إمام ذوي النهى حسنُ الخصال
تقي نقي طاهر سمح حليم زكي حائز غرر الكمال
همام عالم بحر خضم رحيب الكف محمود الفعال
أمير الغرب كهف الفضل حقا رفيع القدر معراج الآمال
أبو الإقبال والحَسنُ المرَجَّى وناصر ديننا ماحي الضلال
فهو أبو السرور غياثٌ هادٍ لمن قد ضل عن رشد الخلال
فتى يَهبُ الألوفَ ولا يَهابُ لدى الحرب الألوف من الرجال
فكم خضعت له الأبطال قهرا وألقُوا في الثّرى إلّقَا وبالِ
وكم بالصفح عاد على جُناة وأطفأ نورُه نار الجدال
لقد رُفِعت له رايات نصر سطا البرهان منها بلا انفصال
ألا فَسَل بني أهل الصحاري عن الشهم الهِزَبْر ([3]) أخي النوال
له ألقوا مقاليد النواصي وخافوا منه سطوة ذي الجلال
جزاه الله أفضل ما جزاءٍ يوفّى أجره يوم المآل

//56//

ولا زال المُظفَّر والمُهَنَّى يصان من المَخُوف وكل بال
فلْذ بحماه تَحظَ بكل عز فهو مقدم والغيرُ تال
وكيف وقد نشأ من بيت عز سَمَوْا بالمصطفى خير الموال

---

1 - اجتهدنا في قراءتها والله أعلم
2 - طمَى الماءُ: ارتفع وملأ النهر. وانهملَتِ السَّماءُ: دام مطرُها مع سكون وضعف.
3 - الهِزَبْرُ: الأَسدُ الكاسرُ.

فوالده محمد تاج ملك فجَدُّه عابدُ الرحمان تال ([1])
هشام بعده بدر تعالى فوالده محمد ذو الجلال
فعبد الله ذو المِنَن المُعَلّى ومُسدي الفضل من بحر النوال
فإسماعيل أشهر من بدورٍ شريف الاسم بعدُ له يُوال
عليٌّ محمدٌ فعليٌّ الأسنى فيوسف ذو المآثر والجمال
عَلِيُّهُم الشريف إمامُ فضلٍ كذا حسنٌ محمدُ ذو الجلال
يلي حَسَناً وهو أخو قُدومٍ لمغربنا فبان كمال اللآل
محمد بعد قاسمٍ المُفَدَّى كذاك أبٌ لقاسمٍ المُوالِ
محمد بعده حسنٌ فعبد الـ إله بهم ينال عُلا المَنال
أبوه أبو محمد المُصفَّى كذا عَرَفَهْ فلذ به لا تُبال
وزد حَسَنا أبا بكر عليا فأحمدٌ قبله حسنٌ ووال
فإسماعيل قاسمُ نجل قَرْمٍ ([2]) محمد الزكي مدى الليال
فعبد الله كاملهم يليه كذا الحَسَنان ثَمَّةَ خيرُ وال
محمد خاتم الأرسال طُرًّا عليه صلاة ربي كلَّ حال

اهـ . وفي هذه القصيدة السَّمِيَّة، والخريدة البهية، لا شَكَّ تمامُ المرغوب، //57// ونهاية الأرب والمطلوب، من ذكر نسب سيدنا الشريف، وقُعدوده (كذا) الطاهر المعظم المنيف، قد حَسُن بها التمام والختام، وكمل بها كل مقصود ومَرام، فالحمد لله سبحانه على ذلك، وهو المرجو بفضله لسلوك أحسن المسالك.

1 - على هامش المخطوط ما نصه: نسبه الشريف، وقد ذكره الوالد في خطبة عيد الفطر بالمصلى عام 1310 حضره من ذُكِر رحمهما الله وقدس سرهما.
2 - القَرْمُ من الرجال: السيِّدُ المُعَظَّم، والجمع: قُرومٌ.

الخاتمة

ختم الله لنا بالحسنى، وأسكننا جميعا بمنه المقرَّ الأسنى.

هذه الخاتمة في ذكر مروره أيَّده الله بعد قضاء غرضه، وتمام مطلوبه الناجح وأربه، على قبائل عِدة، لخدمته وامتثال أوامره حفظه الله مستعدة، قاصدا في ذلك حلولَ حضرته المراكشية، ذاتِ الحلل الفاخرة الموشية، وما وقع له في مروره وتوجهه من المعارف والأنوار، كانفعال الأشياء له بقدرة العزيز الجبار.
أقول: لما كمل غرض سيدنا ومولانا الإمام، حامي بيضة الدين والإسلام، من وجهته الميمونة السعيدة، وطلعته المنيرة الحميدة، على كامل قصد ومَرام، وسعادة دائمة وإعظام، توجه حفظه الله قاصدا كما أسلفناه حضرته المراكشية الشريفة، ذات الحلل المزركشة المنيفة، محفوفا بسُرادقات الحفظ والمواهب، والمآثر الجليلة والمناقب، فمر أعزه الله بخميسه الوافر، وجيشه المؤيد الباهر، بوسط بلاد أعراب الصَّبَّاح، يتخلل منها //58// الروابي والبطاح، ورياح النصر تباكره وتماسيه، وبالعز والإقبال تبشره وتناديه، وأهلها لركابه الشريف مصاحبون، ولأعتابه الشريفة بحركتهم وخيولهم ملازمون، في غاية انبساط وإقبال، وانشراح وإجلال، لا يحصل منهم تراخ في القيام بالوظائف والمؤونات، وغيرها من المفروضات والمسنونات، بل شفعوا ذلك بهدايا عديدة، وذخائر جليلة حميدة.
وبعد أداء الأمر الشريف، وكمال الغرض المنيف، حل أيَّده الله بقصور غريس وفركلة ([1]) التي هي قاعدة آيت وَحليم من آيت عطا، فحصل لهم بمَقدَمه الفرح الكامل، والسرور المؤبد الشامل، وقاموا أيضا باللوازم والأحكام، وأظهروا كامل المبرة لديه والاحترام، نصحا في الطاعة والخدمة، وشكرا لتلك المزية والنعمة، ومن هنالك وجه حفظه الله حراك قبائل الغرب فجالهم بكامل نجاح، ورشد وطاعة وفلاح، مقتضى نظره السديد، ورأيه الموفق الرشيد، وميلا منه لطريق الشفقة والرأفة، والحنانة والاستراحة، فحصَّلوا من رضى الله وطاعة أميرهم، غايةَ مقصودهم ومرادهم، وظفروا بالأجر والمثوبة، وحاز كل واحد منهم مطلوبَه ومرغوبَه، بعد أن خاضوا الشدائد واقتحموها، وبذلوا نفوسهم للمنايا والتقموها.
ثم نهض حفظه الله وخيم ببلاد تدغة وآيت يحيى، فتلقوه بسرور تطيب به نفوسهم وتحيى، وتسارعوا لأداء //59// المأمورات وتحصيل الرضى، وأتوا بالذخائر طالبين الصفح عما سلف ومضى، وبعدهم نزل وفقه الله وأيَّده، ولكل خير وصلاح ألهمه وأرشده، بمحل هناك يدعى بدادس، فاستنارت منه بغرة قدومه الأرجاء والمجالس، وقام أهله كذلك باللوازم، وإسداء الهدايا النفيسة والمغارم، ثم دخل بعد ذلك في قبائل الفائجة، دخول عز وإقبال، فتلقوه أهلها بكامل ازدهاء وترحيب وإجلال، ثم جعل يتخلل أرضهم قبيلة بعد أخرى، وحادي الإقبال يحدو لديه بالمسرة والبشرى، وهم في ذلك قائمون بوظائفه البينة، ولوازمه الأكيدة المتعينة، قد رغبوا في خدمته وطاعته، واستمسكوا بحبل عزه ونصرته، ثم بعد ذلك أقبل أيَّده الله على جبل درن، ليطهر أهلَه من كل سوء ودرن، فإذا هو جبل تضيق عن تكييفه العبارة، ولا يوفي به صريحٌ ولا إشارة، مسالكه لا تُفهَم ولا تُدرَى، في الجو صاعد شاهق، وبوحدانية الله جل جلاله شاهد وناطق، خِلقته عجيبة هائلة، وأحجاره تَخالُها ساقطةً مائلة، تذهَل العقولُ عند رؤيته، وتضطرب الأفئدة عند مشاهدته ونظرته، وزاد في هوله وعظمته ما تعمم به من الثلوج، فكان من أجل ذلك لا يُستطاع فيه دخول ولا ولوج، فاستعان سيدنا على عبوره بتوفيق الله وتأييده، وإعانته المصحوبة معه وتسديده، وأمر بترتيب الجنود والعساكر للدخول فيه ترتيبا، وجعل منهم المتقدم والمتأخر فكان ذلك شكلا عجيبا، //60// واقتحمه في سرادق الحفظ والعناية، ومسالك اللطف والرعاية، وحصلت السلامة والنجاح، وظفر الكل بطريق الرشد والفلاح، وأمر

1 - فركلة هو مصطلح يطلق على مدينة تنجداد بالجنوب الشرقي للمملكة المغربية، وتقع المدينة بجهة درعة تافيلالت، على بعد 80كلم جنوب مدينة الراشدية (عاصمة الجهة). تنقسم مدينة تنجداد (فركلة) الى قسمين فركلة العليا فركلة السفلى وتفصل بينهما الجماعة الحضرية لتنجداد او فركلة عموما.

بالسير أيَّده الله على طريق وادي من هو بالإمدادات زائرَه يوالي، أبي المواهب سيدي رحال البُدالي ([1])، لكونها أسهلَ طرق ذلك الجبل الأفخم، وأولى باستعمال الخُطا فيها والقدم، إذ منها كان سلك جدُّه سيدنا الأكبر، والسلطان العادل الأشهر، سيدي محمد بن عبد الله، رحمه الله، وذلك في وروده لمراكش من سجلماسة، محفوفا بالمواهب العظيمة وفخامة الرئاسة، فحصل سيدنا والحمد لله بذلك على ثلاث فوائد جميلة، كما هي قاعدته في اجتناء المزايا الحميدة الجليلة، سهولة الطريق وزيارة الولي المذكور، والتأسي بجده الأكبر في ذلك المنهج الذي كان منه المرور.

وبعد أن تم له بعون الله وكرمه الغرض، وأدى والحمد لله من كل شيء الواجبَ المفترض، سار أيَّده الله مصحوبا بكامل التعظيم المؤبد، والفخار الحسني المسرمد، إلى حضرته المراكشية، ذات المحاسن الباهرة السنية، حامدا مولاه على ما أسدى إليه من جلائل النعم، ومده به من موائد البر والكرم، فما خيم حفظه الله وأبقاه فلذة الكبد والعين، حتى خيم ببلاد الرحامنة براس العين ([2])، ومن هنالك طير رعاه الله الإعلام ثانيا لسائر رعاياه بما قررناه، جريا على عادته الجميلة حسبما أسلفناه، تتميما للفائدة، //61// وإظهارا لتلك المزايا التي هي بصلاح الأمة عائدة، واعتناء منه بأمر الرعية واهتماما بشؤونهم المتأكدة المَرعية، فوصل السفيرُ حاضرته فاس، بكتاب شريف مشتمل على ما ذكر بطريق القياس، محشوٍّ بأساليب البراعة والبلاغة، موشَّى بقلائد اللغة والأدب والفصاحة، يسحر بعجيب ترتيبه عقولَ الألباب، ويُلقِي العدوَّ بمَحاسنه في ميادين الغفلة والحجاب، معانيه كأنها يواقيت في الأجياد مطوَّقة، وألفاظه كأنها لَبَّاتٌ على النحور معلقة، لا فضَّ الله فاه مستخرِجه درة عالية ثمينة، ولا فقدت ذاته تلك الأماكن الحسنية، والأعتاب الشريفة السنية، ففُرِّطَتْ ([3]) عاجلا بباهر خطابه الأسماع، بعد أن ألقت إليه بكامل التوجه الإنصاتَ والاستماع، فصَدَع بتمام النعمة وكمال المطلوب، وأعلن بحُسن الختام وتمام المرغوب، وذهب الكل بذلك فرحا مسرورا، مؤيدا كاملا منصورا، معلنا لمولانا الأمير بالدعاء، صادعا بحصول المسرة والهناء.

ليهنك يا مولاي فتح تتابعت إليك به خوضُ الركائب ترجفُ

وبعد ذلك خيم أيَّده الله بزاوية الجبل الراسي، الولي الصالح سيدي عبد الله بن ساسي ([4])، وبعدها يوم الثلاثاء تاسع جمادى الثانية، حل حضرتَه المراكشية بالسلامة والعافية، والنعم الوافرة الوافية، وخميسُه في غاية الزهو والإقلال، والسعادة والإجلال، فتلقته //62// على مرحلة علماؤُها وكبراؤُها، وولاتُها

---

1 - هو محمد بن أحمد بن الحسن الشهير عند المغاربة بسيدي رحال البودالي أو "بويا رحال", ولد عام 890هـ حسب جل الروايات، وتوفي سنة 950هـ على خلاف في سنة وفاته. لُقِبَ بسيدي رحال باعتباره كان دائم الترحال والتجوال، وبالبدالي لبلوغه مقام الابدال بين الصوفية أو لتبدل أحواله، ولسواد بشرته لقب بالكوش، وصار يعرف برحال الكوش، ويعرف أيضا بالسملالي وطير الجبل والسبع الأذرع. أصوله من قرية تمدولت المشهورة بودي أقا، تتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد العزيز التباع. وقد ذكر العشماوي في كتاب جامع الأنساب النبوية وكذا الطعارجي في الإعلام أن نسب سيدي رحال يتصل بالشرفاء الحسنيين بواسطة مولاي سليمان ابن عبد الله الكامل، مع اختلاف بين المؤلفَين في وسط سلسلة النسب.

2 - على هامش المخطوط: "في ثامن جمادى الثانية".

3 - تَقَرَّطَتِ الجاريةُ: لَبِسَت القُرْطَ، وهو ما يُعَلَّقُ في شَحْمَة الأُذن من دُرٍّ أَو ذهب أَو فضة أَو نحوها.

4 - الشيخ عبد الله بن ساسي السباعي من بين المجاهدين الذين تصدوا للبرتغاليين عند احتلال ثغر أزمور سنة 1515م، وذلك إبان حكم السعديين. قال عنه ابن عسكر في "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر". ص110: ومنهم الشيخ البركة الفاضل أبو محمد عبد الله بن ساسي، من أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني. كان من أهل الخير والفضل والصلاح، له مآثر جمّة وأفعال سنية حسنة، وكانت النصارى أسرته بمدينة أزمور وافتكه المسلمون، وتوفي في أوائل العشرة السادسة، ودفن بزاويته على ضفة وادي تنسيفت بمقربة من مراكش، وقبره مزارة عظيمة مشهورة. اهـ

وعظماؤُها، وحصل لهم من السرور والفرح الغاية، ومن كامل البهجة والرونق الباهر النهاية، وكيف لا وقد مَنَّ عليهم مولاهم ثانيا بنظرته الجليلة، ومشاهدته الرفيعة الجميلة، بعد أن كان أوصلَهم جل جلاله البشارة، وعرَّفهم نصرَه وفَخَارَه، فهنيئا لهم بما مِن التهاني والبشائر احرزوه، والفضلِ والفخر زيادة علينا حازوه، فلو ساعدتني وحَق الله الأقدار، وسلمت جل أوقاتي من المكائد والأكدار، لكنت معهم فيها يوم قدومه حاضرا، ولِبَهِيِّ طلعته مشاهدا ناظرا، وأَنشده إذ ذاك بديهةً لدى المَلا، وأقول فضلا من الله جل وعلا:

الله أمَّن للمغارب سُبْلَها ... بابن الرسول الهاشمي محمد
النصر والتمكين والفتح المبيـ ... ـن لدى السَّرِيِّ السيد ابن السيد
فالطّرقُ طُرقُ المغرِبَين به غدت ... مطروقةً بجَماعة أو مفرد
والبهجة ابتهجت وقالت مرحبا ... أهلا وسهلا بالإمام الأسعد
ملك حيي من سلالة هاشم ... يده تجود بفضة وبعَسْجَد (1)
بِأَبِي إمامٌ ناسكٌ متعبّدٌ ... أَحْبِبْ به مِن ناسكٍ متعبِّد
عَلَمُ العلوم ومَن ومَن كَإِمَامِنا ... بالسنة الغَرَّاء الزكية يهتدي
بحر ولكن قد يموج بجوهر ... بدرٌ ولكن حل سَعْدَ الأسعُدِ
بطل شجاع ذو مناقبَ جَمة ... سيف يُسَلُّ على الغَشوم المعتدي
//63//
جاد الجواد به على آفاقنا ... كَدِفَاق (2) كُلِّ مُمَجَّد ومُنجَّد
يعطي العطايا للبرايا كلها ... لا زال مُتبعا شريعة أحمد

وأسال المولى سبحانه أن يتحفنا عاجلا كذلك برؤيته، وينير أرجاءَ بلادنا السعيدة بطالع سعدِه وغُرَّتِه، في حال صحةٍ وعافية وازدهاء، وزيادةِ يُمن وإقبال وهناء.

يا سيد الأمراء والحكام ... ومسدد الآراء والأحكام
حَيَّتك فاسٌ بألف ألف تحية ... من بعد لَثْمِ الكَفِّ بالأَقْدام
ولو أنها وجدت سبيلا لِلِّقا ... وفَدَتْكَ مسرعةً بغير زمام
وأتت بزهرتها مزخرفةً ... كما كانت وشملك في أجل نظام
آخر:
ودمت إلى كل القلوب محببا ... وفي كل عين شاهدتك حبيبها
آخر:
ولما أن نأت منكم ديار ... وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض ... لأنظركم بشيء مثل عيني
آخر:
يا ليت شعري فهل رضاه يوصلني ... على الدوام معالي الفضل ألحقُها

1 - العَسْجَد: الذَّهَبُ، الجوهر كُلُّه كالدُّرّ والياقوت.
2 - الدِّفاق من السيول: الذي يملأ جنبي الوادي.

آخر:

وإني ولو بالغت في الشكر والثنا عليه مُقِر بالقصور وبالعجز

آخر:

البحر هو سماحة وفصاحة والدُّر نَيِّرٌ مِن يديه وفيه
والبدر هو صباحُه ومِلاحُه والخير مجموع لديه وفيه

آخر:

أدام إله العرش في الناس مجده وأولاه عزا زائدا غير زائل
وأبقى بقاء الدهر طالعَ سعده بأفق المعالي طالعا غير آفل //64//

وأسمى سلام طيب النشر عاطرا يحاكي شذى الأزهار عند الأصائل
يوافيه ما وافت بزهو (...) ([1]) شَمُولٌ ([2]) حكت لطفاً نسيمَ الشمائل

آخر:

إلهي أدم نصر الأمير الذي دعا إلى الربح والسعد الذي منه أَسعِدنا
إلهي أدم عز الأمير على الورى وأظهر علينا فضله حيثما كُنَّا
إلهي وتابع بالفتوحات أمره وأمده بالتوفيق وامدد له عونا
إلهي وأيد جيشه وأدم له سوابغ نعماء بها طالما امْتَنَّا
إلهي بجاه المصطفى اجمع نظامه وعامله بالخيرات طُرًّا بلا استثنا

قال مؤلفه وكاتبه الجاهل القصير، البائس المضطر الحقير، غفر الله له، وبلغه وجميعَ المسلمين من خير الدارين مأملَه: هنا انتهى بنا الكلام بحول الله وقوته فيما مِن شرح هذه الطلعة الحسنية قصدناه، ومِن نشر مآثر ومزايا سيدنا ومولانا الإمام رُمناه، بحسب الجهد والاستطاعة، وقلة الفهم والبضاعة، وأرجو ممن أراد الارتشاف من راح هذه العبارة، وراح يدير في حدائق البراعة نظره ويمضي أنظاره، أن يَغُضَّ الطرف عن عيوبها المتكاثرة، ومساوئها الواضحة الظاهرة، فإن الكريم غفار، والحليم ستار، ولقد كتب بعض البلغاء حسبما في شرح الإحياء إلى العماد الأصبهاني معتذرا عن كلام استدركه عليه، أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا؟، وها أنا أخبرك به، وذلك أني //65// رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسَن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، واستيلاء النقص على جميع البشر، فأرجو مسامحة ناظريه فهم أَهْلُوهَا، وأُؤَمِّل جميلَهم فهم أحسن الناس وجوها.

يا من غدا ناظرا فيما كتبتُ ومن أضحى يُرِدِّد فيما قُلتُه نظرا
ناشدتك الله إن عاينت لي خطأ فاستر فإن خيار الناس من سترا

1 - كلمة تعذر ضبطها، تبدو مثل "مديرها" والله أعلم.
2 - الشَّمُولُ: ريحُ الشمالِ.

ومن الله جل جلاله أسأل القبول والرضى، والنظر إليه بعين التجاوز والإغضا، بجاه نبيه وحبيبه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّف وكرَّم، ومجَّد وعظَّم، وفي تاريخ الكتاب وتسميته قلتُ مع زيادة تناسب المقام، ويحسن بها التمام والختام:

وحين تم صُنعُه حديقةً سميته
جعلتُه محبة فيمن له وضعتُه
حُبي له بشغف عن سلفي قد حُزته
هو الأمير من سمت إلى العلا طلعتُه
بحَسن لقد سُمِّي قد عظمت صولته
حاز فَخارا وبَهَا قد طالما كَيَّفته
يا سيدي هديتي إليك ما صنفتُه
في وِجهةٍ لك بَدَت وفخرها شرحته
//66//
وأعظم بها من وجهة زكية وِجهتُه
قد هَدَّ بربرا بها فذهبَتْ جُرأته
أكرم به من بطل من النبي نَبْعَته
يقول من قد أَمَّهُ نِلتَ الذي أَمَّلْتُه
نلتُ كَمالَ "عِيشةٍ" بلفظها أرختُه
بحذف ([1]) قاف بعدها صادٌ وطاءٌ رُمْتُه
ومطلبي ([2]) يا سيدي قد طالما أنهيتُه
مُرتَّبٌ مُؤَبَّدٌ ما غيرَه طلبتُه
في كل يوم كي به يقوم ما قد شِئتُه
عجل بذا يا سيدي الفضلُ منكم حُزتُه

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين.
وقد وافق خروجه ثانيا من مُبْيَضَّتِه، واستخلاصه من غريق لُجَّته ([3])، يوم الأحد تاسع رجب المعظم عام اثني عشر وثلاثمائة وألف، رزقنا الله خيره ووقانا شره وضيره.

1 - على الهامش ما نصه: أي حذف قاف.
2 - كتب على الهامش ما نصه: المطلب، وقد كان وعد به رحمه الله.
3 - لُجَّة: معظم الماء.

نص الرسالة المذيل بها

الحمد لله، قال مؤلفه كان الله له: قد وقفت في بعض المجاميع على رسالة جليلة، نفيسة حفيلة، مختصرة تحار في ترتيبها الأنظار، وتنفطر من حسنها وجلالتها الأفئدة والأفكار، منسوبة لبعض //67// الأدباء القادة، والأجلة الفحول السادة، اقترحها على لسان فرس كانت عنده من مشاهير الخيل، وجعلها رحمه الله عبارةً تُتلى، ومنقبةً تُذْكَرُ في المحافل وتُجْلَى، ولقد رأيت أن أذيل بها هذا التأليف المعظم، وأجعلها خاتمة عِقدِه المُنظم، أخاطِب بها مصباحَ الليالي والأيام، سيدَنا ومولانا الإمام، تأكيدا لنيل المؤمل والمطلوب، وجلبا لرضاه الذي هو غايةُ المقصود والمرغوب، ونصها مع زيادة ([1]):

أقسم بمن جلَّت عظمته، وعَلت كلمته، وسخر القلوب للمودة المؤبدة، وجعل الأرواح جنودا مجندة، إني لأشوق إلى لثم مولاي من الروض إلى الغمام، ومن السَّاري إلى تبلُّج القمر في الظلام، وقد كانت حالتي هذه وأنا جارُه، فكيف الآن وقد بَعُدَت عني دارُه، وليست غيبتُه عني إلا غيبَة الروح، عن الجسد الفاني المَطروح، ولا العيشةُ بعد فراقه الجاني، إلا كما قال البديع الهمذاني، عِيشةُ الحوت في البر، والثلج في الحر، وقد ألَّفتُ هذا التأليف وأنا مشغوف بذكرك، مشغول بحمدك وشكرك، وعيني تود لو كانت مكانه، وأمكنتْ من قطع المسافة إمكانَه.

هذا وبعد السلام على سيدي وتقبيل سامي عتبته، فالذي يُعرَض على عالي حضرتِه أنه لا يخفى عليه ما ورد في الحديث الشريف عن النبي النبيه، أهدى الله إليه صلاته وسلامَه، (الخيلُ معقود في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة)، وإني تلك الفرس الأصيلة الطرفين، والحجرة العريقة الجانبين، المهذبة //68// الأخلاق، الكريمة الأعراق، سَبوح لها منها عليها شواهد. فأبِي من العتاق المعنقية ([2])، وأمي من الصَّافنات الجياد السقلاوية ([3])، معروف (كذا) الأب والجد، في تِهامَة ونَجْد، صحيحة النسب، بين العرب.

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يُجرّب

وقد كان شرفني المولى بالرُّكوب، وأمَّلت منه المطلوب، وسبقت الجياد، وفزت بالشرف والمراد، وتَقدَّمَت الخدم أمامي، وحُملت الغاشية ([4]) قدامي، ومشيت بالأدب والوقار، ولم يصدر مني عِثار ([5]) ولا نِفار ([6]). ولا غَرْوَ فالسيوف على مقادير الأعضاء تَفري ([7])، والخيل على حسب فرسانها تجري.

---

1 - أورد مثلها المحبي في كتاب "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة" ج1 ص204

2 - في المخطوط "المغبقية" وهو تصحيف. والمعنقية: من الخيول القديمة والعريقة. وهي من أكثر الخيول انتشارا في المنطقة العربية، وبشكل خاص في شمال الجزيرة العربية، يعرف عنها طول رقبتها وشهرتها الكبيرة في شدة احتمالها وقُوَّتها.

3 - كذا بالسين في المخطوط وفي "نفخة الريحانة"، وتكتب بالصاد أيضا وهي الكتابة المعاصرة المشهورة. والصقلاوي حصان عربي من أفضل الخيول العربية لأغراض الاحتفالات والمهرجانات والاستعراضات، ويرجع ذلك إلى جماله الباهر الذي يتخذ الطابع الأنثوي حتى عند الفحول.

4 - الغَاشِيَةُ الزُّوَّار والأصدقاءُ ينتابون المرء.

5 - عَثَرَ الْفَرَسُ: زَلَّ وَكَبَا. "قدمٌ لا تعرف العِثار": تعبير يُطلق على الشخص الذي يُوفَّق في جميع خطواته.

6 - نِفار: مصدر نَفَر ونافَر. حِرانٌ في الدابة، رَفضُ الانقياد.

7 - فرَى الشَّيءَ: شقَّه وقطَعه.

والخيل تعلم ما فوق أظهرها من الرجال جبانا كان أو بطلا

وفي المثل: "الخيل بفرسانها، والدار بسكانها"، ولقد قِدماً طرق سمعي أن المولى فارس الميدان، وسابق الرهان، امتطي من الصدارة صَهوَةَ الإقبال، وسحب له جنيبُ [1] العز والإجلال، وملك زمام الأمور، وشَدَّ حِزامَ عزمِه في مصالح الجمهور، فحصل لي بذلك كمال السرور والنشاط، وكدت أن أفُكَّ ما بي مِن الرباط، وأجِدَّ في المسير، إلى تهنئة جنابه الخطير، لكن أقعدتني الأيام عن ذلك، ومنعتني عن سلوك هذه المسالك.

إن العوائقَ عُقْنَ عنك ركائب فلهُنَّ من طربٍ إليك هَدِيلُ [2]

//69//

والبحر علَيَّ تعكر، والوِرد الصافي تكدَّر [3]، قد كان لي مشرب يصفو بموردكم فكدرته يد الأيام حين صفا. وإن مالكي وإن كان هو الأصيل العريق، لكنه مُقَتِّرٌ [4] للضيف في العَلِيق [5]، كثير الشِّعر قليل الشَّعير، ينشد بلسان العجز والتقصير.

ومالي صنعة غير القوافي وشعر لا يباع ولا يعار

فالشعير أبعَدُ من الشِّعرى العبور، ولا وصول إليه ولا عُبور، والبطن ضامر لا يُشَدُّ عليه حِزام، والفم خالٍ ليس فيه سوى اللجام، وقد بُلِيتُ بعد الهُزال بالخَرَس [6]، وسار حالي كما قيل: الجلُّ [7] خير من الفرس، وغيري ممن هو دخيل ليس له أصل ولا فصل، ولا أدب ولا فضل، يرتع في رياض الإنعام، والبر التام.

حمار يُسَيَّبُ في روضة وطِرْفٌ [8] بلا علف يربط

فإن أنعم المولى دام له المسار، بمنصب في هذه الديار، فاكرم الخيل أشدها حنينا إلى وطنه، واعتق الإبل أكثرها نِزاعا نحو عَطَنِه [9]، فليس لي سواه من أُعَوّلُ عليه، وأرفع قصتي إليه.

وهيهات أن يُثْنَى إلى غير بابه عنانُ المطايا أو يُشَد حِزامُ

---

1 - الجَنِيبُ: الغَريب.
2 - هَدَلَ الشيءَ هَدْلاً: أَرسله إلى أَسفلَ وأَرخاه. هَدِلَ الرَّجُلُ: اِسْتَرْخَتْ شَفَتُهُ السُّفْلَى وتَدَلَّتْ.
3 - على هامش المخطوط ما نصه: وهو كلام لعمر الله ظهرت مخايله اليوم علينا والأمر لله.
4 - قَتَّرَ على عيالِه: بَخِلَ وضيَّق عليهم في النفقة.
5 - العَلِيقُ: ما يُقدَّم للدَّابَّة من طعام.
6 - على الهامش ما نصه: أي بِعَدَم الكلام، شأن الدواب.
7 - كُتب على الهامش ما نصه: والجِلُّ بالكسر كما في ق يطلق على معان منها قصب الزرع إذا حُصد، وهو المراد هنا، ويضم ويفتح كذلك، انظره. انتهى ما على الهامش. ومن معانيه أيضا ما تغَطّى به الدابة لِتُصان كالبردعة والحلس، ولا يبعد أن يكون هو المراد أيضا والله أعلم.
8 - الطِّرْف: بالكسر، الفرس الجيد.
9 - العَطَنُ: مَبْرَكُ الإبل ومَربِضُ الغنم عند الماء.

والله سبحانه ولي التوفيق، والهادي بكرمه إلى سواء الطريق، وهو قاضي الحاجات، ومُيَسِّرُ المُرادات، وعالم بكل الأحوال، وعليه في جميع الأمور الاتكال.

وَدُمْ وابْقَ في سَعد وعِز مُخلّد وخيلُك في أوْجِ السعادة تَسبِق

//70//

ومُعَادُهُ على سيدنا ورحمه الله وبركاته.

ونص الجواب الشريف ([1])، الوارد عن هذه الرحلة السعيدة.

أقول: لما وُجِّهَتْ هذه الرحلة السعيدة، الميمونة الرشيدة، لسيدنا المقدس تغمده الله بمغفرته ورُحمَاه، على يد سيدنا الجد مع رسالة اقترحتُها له وجَّهها مع ذلك أيضا، وكان إذ ذاك بحضرته المراكشية، ذات الميامن المتزايدة الفاشية، وَرَدَ عاجلا عن ذلك كله الجواب الشريف، الحسني المعظم المُنيف، جوابٌ اكتسى بحلل الرونق والازدهاء، وكان من الحسن والجمال في غاية تمام وانتهاء، بما نصه بعد الحَمْدَلَة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والطابع الشريف بينهما بداخله: "الحسن بن محمد الله وليه ومولاه":
محبنا المرابط الأرضى الخطيب السيد علال ([2]) بن عبد الله الفاسي، أعانك الله وسلام عليك ورحمه الله تعالى وبركاته وبعد، فقد وصل كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أودعته من التهنئة العديمة المثال، العزيزة المنال، في شأن ما مَنَّ الكريم به جلَّت قدرته، وتعالت مِنَّته، من القُفُول ([3])، والإياب المبرور المقبول، من الوجهة المباركة السجلماسية، ذات المَيامِن الفاشية، والسعادة السامية، واللطف الخفي، والسر الوفي، والتيسير الباهر، والمدد الرباني القاهر، والصنع الذي اهتزت له المنابر، وخدمه اليَرَاعُ ([4]) والمَحابِر، والفتح الذي تفتحت أبوابه وتجددت //71// أثوابه، وكمل نصابه واتضح صوابه، وحلولنا الحضرة المراكشية، المصونة البهية، كما حلت السعود في مطالعها، والبدور لدى تَمِّها في مواكبها بين كواكبها، بعد بلوغ المَرام، وذهاب الأُوام ([5])، فضلا وكرما من الله الملك العلام، وقد قرَّت بفضل الله العيون، وتحققت بِمِنَّته وعزته الظنون.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قرَّ عينا بالإياب المسافر

حمدا لله على ما أولى من تلك النعم الفخيمة، والآيادي العظيمة العميمة، فهو المولى الكبير المتعال، المتفضل بالنوال على التفصيل والإجمال، واستفدنا منه فرحكم بذلك، وابتهاجكم بما هنالك، وشكرنا لكم منحى هذا المنحى، وقابلناه بأدعية فسيحة فَيْحَا، أصلحكم الله ورضي عنكم آمين.

---

1 - على هامش المخطوط: في 24 قعدة أواخر عام 1311 لكن في آخر الرسالة كُتِب 24 رمضان 1311 فلعله سهو في أحد الموضعين والله أعلم. على أن وفاة السلطان رحمه الله كانت آخر يوم الأربعاء فاتح أو ثاني ذي الحجة من سنة 1311 على قول السباعي في البستان الجامع ص513 من مخطوط على شبكة الانترنت.

2 - جاء في موسوعة أعلام المغرب لمحمد حجي ج8 ص2808 نقلا عن كتاب "إتحاف المُطالع" عند ذكر حوادث سنة 1314هـ ما نصه:
في زوال يوم الجمعة ثاني وعشرين جمادى الأولى توفي علي المدعو علال بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمان دعي المجذوب الفاسي الفهري، وكانت ولادته عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف. تقدمت وفاة والده عام أحد وسبعين ومائتين وألف. كان علامة مشاركاً مطلعاً خطيباً باحثاً كثير الإفادة والتقييد، له تآليف منها "إيقاظ السكارى، المحتمين بالنصارى" أو "الويل والثبور، لمن احتمى بالباسبور" وله رسالة في روضة الشيخ أبي المحاسن الكائنة بالقباب خارج باب الفتوح، وله كناشة في مجلد ضخم فيها فوائد جمة. دفن بروضتهم بالقباب.
3 - قَفَلَ الْمُسَافِرُ: عَادَ مِنْ سَفَرِهِ، رَجَعَ.
4 - اليَرَاعُ: قصب يتّخذ منه الأقلام.
5 - الأُوامُ: حرارة العطش.

وما ذكرتم من أن حفيدكم الطالب عبد الله أصلحه الله صنع تأليفا في تلكم المنن التي لا نطيق لها شكرا، ولا نحصيها ذكرا، أسماه "حديقة الأسرار البهية، في الطلعة الصحراوية الحسنية"، قد علمناه، واستصوبناه واستحسناه، وقد وصل، وبالمَبَرَّة والقبول اتصل، وأرتَعْنا الألحاظَ في حدائقه المُونِقة، وأَجَلْناها في أرجائه النيرة المشرقة، وأرويناها بزلال معانيه الفياضة المتدفقة، وأضفناه لذخائرنا وأخابِرنا ([1])، وشيدنا ذكره بخزائننا، وقلنا هذا فضل من الله تعالى قَيَّضَ له من يُذيعه بلسان الأقلام، على ممر الليالي والأيام، ويخلده في بطون المَهارِق، ويَبُثُّه في المغارب والمشارق. خلد الله في الصالحات ذكرَكم //72// وأجزل أجركم وبِركم، وأنالكم كل ما تحبونه بالتمام، وأدى عنا شكر نعمه الصَّيِّبَة، ومواهبِه الطَّيبة، في الافتتاح والاختتام، ويصلك صحبتَه مائة وخمسون ريالا لحفيدك صاحبِ التأليف المشار إليه صِلَةً، كما تصلك مائة ريال لنفسك إكراما لك، والسلام.
في 24 رمضان المعظم عام 1311 اهـ بلفظه وحروفه، والحمد لله على نعمه، وتوالي فضله وكرمه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. اهـ
انتهت بحمد الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

كان الفراغ من تحقيق هذه الرحلة يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة 1447 هـ - الموافق 23 نونبر 2025م.
واعتمدنا في ذلك على مخطوط واحد ب جامعة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.

وقد سبق تحقيق الكتاب سنة 2023م من طرف محمد عيناق ويوسف أمال، لكننا ارتأينا إبرازه في حلة ثانية لا تمس بحقوق النسخة السابقة كي يستفيد منه الباحثون.

معلومات عن النسخة المحققة:
http://catalog.fondation.org.ma:81/cgi-bin/koha/opac-detail.pl?biblionumber=795677

رابط الكتاب على موقع المؤسسة:
http://www.fondation.org.ma/web/affichage_numerics/3402/17

1 - جمع أَخْيَر: وهو الأفضل والأحسن.